إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم من
(آية ٣٢ من سورة الزمر إلى الآية ٤٠ من سورة غافر)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

اسم الطالب/ة: شادية عمر الحلبي Student's name:

التوقيع: شادية Signature:

التاريخ: ١٢ / ٣ / ٢٠١٦ Date:

الجامعة الإسلامية–غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية

لمقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم

من (آية ٣٢ من سورة الزمر إلى الآية ٤٠ من سورة غافر)

The analytical study

The Purposes and objectives of the Party and the

Forty–Seventh of The QURAN

(Surat Alzumar verses :32– to verses **40 in Surat Ghafir)**

إعداد الطالبة

شادية عمر الحلبي

إشراف الدكتور

محمود هاشم عنبر

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٧هـ–٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

[النساء: ٨٢]

الإهداء

إلى كل مؤمن يقظ الضمير نقي الإسرار

إلى المخلصين في هذه الأمة المتقين الأبرار

إلى والديَّ الكريمين حفظهما الله

إلى زوجي وأولادي أدام الله وصلهم في دار القرار

إلى إخوتي وأخواتي وكل من أحببتهم في الله وصحبة المختار

إلى جامعتي وكليتي وأساتذتي الكرام

أهدي إليهم جميعاً هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله تدوم النعم، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، سبحانه أحق من يذكر ويحمد يشكر، والصلاة والسلام على النبي الأميِّ الذي علم المتعلمين، وأنار دروب الحائرين، الصادق الوعد الأمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد ...

انطلاقاً من قول الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** [لقمان: ١٢]، واعترافاً بفضل أهل الفضل؛ فإني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي فضيلة الدكتور / محمود هاشم عنبر _ حفظه الله ورعاه _ لقبوله الإشراف على الرسالة، وعلى ما تكرم به من جهود كبيرة وتوجيهاتٍ قيمةٍ ونصائح وإرشادات مفيدة.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى عضوَيّ لجنة المناقشة

فضيلة الدكتور / زهدي محمد أبو نعمة. **حفظه الله ورعاه**

وفضيلة الدكتور / ماجد رجب سكر. **حفظه الله ورعاه**

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما سيبذلانه من جهود في تعديل وتصويب الرسالة ووضع الملاحظات، لتنقيح الرسالة، حتى تخرج بإذن الله تعالى بأفضل صورة وأبهى حلة.

والشكر موصول إلى جامعتي الغراء الجامعة الإسلامية محضن العلماء ومنارة العلم بكافة دوائرها ومعلميها، وأخص بالذكر أساتذتي في كلية أصول الدين وبخاصة قسم التفسير، والشكر أيضاً لعمادة الدراسات العليا بجميع كوادرها، وأتقدم بالشكر الجزيل لأهلي –وخاصة زوجي– الذين كان لهم الدور في توفير الجو المناسب والملائم للدراسة والتشجيع حتى وصلت نهاية المطاف، فجزاهم الله عني خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المـقـدمــة

الحمدُ لله رب العالمين حمداً يَليق بجلالِ وجههِ الكريم وعظيمِ سلطانهِ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، والصلاة والسلام على رسولهِ الأمين، المبعوثِ رحمةً وهدى ونوراً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

إن شرف العلم من شرف المعلوم؛ فعلم التفسير من أعظم العلوم وأشرفها فهو كما يقول الإمام الألوسي رحمه الله: "أعلاها قدرًا، وأغلاها مهرًا، وأسناها مبنى، وأسماها معنى، وأدقها فكرًا، وأرقها سراً، وأعرقها نسبًا، وأعرفها أبا، وأقومها قيلاً، و أقواها قبيلًا، وأحلاها لساناً، وأجلاها بياناً، وأوضحها سبيلاً، وأصحها دليلاً"[1]؛ لأنه متعلق بأصدق الحديث، ألا وهو كلام الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن من حاز هذا العلم فقد حاز العلوم كلها، فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء.

لذلك فإن كتاب الله –تعالى–الخالد معجزة النبي ﷺ إلى يوم القيامة أنزله عليه هداية للبشر، وإخراجاً لهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وقد حث الله –تعالى– عباده المؤمنين على تدبر القرآن وفهم آياته ومعانيه وتفسيره، وتعلم علومه، والغوص في أعماقه للكشف عن آلائه المكنونة فيه.

قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: ٢٤] فهو كلام الله تعالى المعجز، فكل سورة في كتاب الله تعالى تحتوي على الكثير من المقاصد والأهداف التي تمثل منهج حياة المسلمين في مجالاتها الدعوية والحركية الإصلاحية وتشخص مشاكلهم وهمومهم، وتقدم العلاج الشافي لتلك المشاكل والهموم بما يتفق مع هذه المقاصد والأهداف القرآنية.

لذلك كانت دراستي بعنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم

"سورة الزمر من الآية ٣٢، حتى الآية ٤٠ من سورة غافر".

---

(١) روح المعاني (١/ ٣).

أولاً: أهمية الدراسة

١. تعلق الدراسة بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم.

٢. الدراسة التحليلية تصقل شخصية الباحث، وتبني قدراته في فهم آيات الله تعالى فهماً دقيقاً.

٣. يقدم القرآن الكريم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.

٤. بيان المقاصد والأهداف للآيات يبعث على رسوخ الإيمان في النفس، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والتحاكم إليه.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١. ابتغاء مرضاة الله تعالى وخدمة كتابه الكريم.
٢. إبراز مقاصد وأهداف آيات الدراسة كون القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للبشرية جميعاً.
٣. رغبتي في التدبر والتفكر والتأمل في آيات القرآن الكريم لقوله تعالى **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: ٢٤].
٤. الوقوف على معالم الطريق الموصلة إلى مرضاة الله رب العالمين، وتحقيق السعادة في الدارين.

٥. تشجيع أساتذتي الكرام في قسم التفسير وعلوم القرآن على الكتابة في هذه السلسلة.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته

للبحث أهداف كثيرة أذكر أهمها

١. إظهار الموضوعات الأساسية لسورتي (الزمر _ غافر) وشخصيتهما الرئيسية، بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية المراد إرساؤها في المجتمع الإسلامي.
٢. المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة محكمة تتناول مقاصد واهداف آيات السورتين دراسة تحليلية
٣. صقل الخبرة الذاتية من خلال الدراسة التحليلية المتعمقة والدقيقة لآيات الدراسة.
٤.ربط مقاصد الآيات وأهدافها بواقع المسلمين المعاصر ومحاولة وضع الحلول المناسبة.

رابعاً: الدراسات السابقة

يعدُّ هذا البحث استكمالاً لسلسلة الأبحاث التي تم اعتمادها في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية والتي تتناول الدراسة التحليلية للمقاصد والأهداف المتنوعة والمختلفة لآيات القرآن الكريم.

خامساً: منهجية الباحثة

اتبعت الباحثة المنهج التحليلي والموضوعي وذلك من خلال النقاط الآتية:

١. تقسيم آيات سورة الزمر من آية(٣٢ حتى آخر السورة ومن آية ١_٤٠ من سورة غافر) إلى فصول ومباحث مختلفة، وكل مبحث إلى مطالب متنوعة جاعلة لكل مطلب آياته المناسبة له.

٢. ربط مدلول الآيات بالمواضيع، والمشكلات الواقعة في هذا العصر، واستنباط حلولٍ لها قدر الإمكان٠

٣. تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً وبيان وجوه البلاغة، وأسباب النزول، والمناسبات، والقراءات، والإعراب ومعانيه، وما ترشد إليه الآيات.

٤. كتابة الآيات مشكولة بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك في المتن.

٥. تخريج الأحاديث النبوية في البحث وعزوها إلى المصادر الأصلية، مع ذكر حكم العلماء عليها إن لم ترد في الصحيحين أو في أحدهما.

٦. ذكر اسم الكتاب في الحاشية، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، مع ترك التعريف الكامل للكتاب في الحاشية لوروده في فهرس المصادر.

٧. عند إحالة القارئ إلى فكرة أو جزئية أو حديث قد سبق ذكره في البحث قُلت: سبق الإشارة إليه أو سبق تخريجه، وذكرت رقم الصفحة.

٨. الرجوع الى معاجم اللغة لبيان معاني الألفاظ الغريبة٠

٩. الرجوع الى كتب السير والأعلام لترجمة الأعلام المغمورة الواردة في البحث.

١٠. عمل الفهارس اللازمة للبحث لتسهيل الوصول إلى المعلومة.

سادساً: خطة البحث

تتكون خطة البحث: من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ومجموعة فهارس. وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة

وتشتمل على العناصر الآتية:

أولاً: أهمية الدراسة

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته

رابعاً: الدراسات السابقة

خامساً: منهجية الباحثة

سادساً: خطة البحث

التمهيد

تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

وفيه مطلبان

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مقاصد السور لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

المطلب الخامس: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

المبحث الثالث: تعريف عام بسورتي الزمر وغافر

ويشتمل على مطلبين

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الزمر

أولاً: اسم السورة وعدد آياتها، ومكان وزمان نزول السورة

ثانياً: جو نزول السورة

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسة

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة غافر

أولاً: اسم السورة وعدد آياتها، ومكان وزمان نزولها

ثانياً: جو نزول السورة

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسة

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات(32-52)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(32-37)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: افتراء الكذب على الله من أكبر الظلم

المطلب الثاني: جزاء المصدقين المؤمنين

المطلب الثالث: الهداية من عند الله وحده

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (38-45)

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الأدلة والبراهين الإلهية على تزييف طريقة عبدة الأوثان

المطلب الثاني: عجز الأصنام عن دفع السوء والضر عن عبّادها.

المطلب الثالث: تسلية الرسول -عليه الصلاة والسلام-

المطلب الرابع: أقسام الوفاة

المطلب الخامس: شبهة المشركين في عبادتهم للأوثان والشفاعة بهم
المطلب السادس: معنى الشفاعة وأقسامها
المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(46-52)
وفيه أربعة مطالب
المطلب الأول: دعاء الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا
المطلب الثاني: لو ملك المشركون أموال الدنيا لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة
المطلب الثالث: جحود المشركين وسوء عاقبتهم يوم القيامة
المطلب الرابع: الرزق وتصريف الأمور بيد الله
الفصل الثاني
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات(53-75)
وفيه ثلاثة مباحث
المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(53-60)
وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: دعوة الناس إلى عدم اليأس من رحمة الله
المطلب الثاني: التوبة إلى الله قبل فوات الأوان
المطلب الثالث: الحسرة قرينة المشرك يوم القيامة
المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(61-67)
وفيه أربعة مطالب
المطلب الأول: حال المتقين في الجنة
المطلب الثاني: دلائل الألوهية والتوحيد
المطلب الثالث: عصمة الله لرسولهﷺ
المطلب الرابع: إخلاص العبادة لله وتعظيمه
المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(68-75)
وفيه أربعة مطالب
المطلب الأول: أهوال يوم القيامة

المطلب الثاني: أنواع النفخ وبيان أن وعد الله حق

المطلب الثالث: مآل الأشقياء والسعداء

المطلب الرابع: تسبيح الملائكة لله وحده

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (1-20)

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (1-6)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الحروف المقطعة في القرآن

المطلب الثاني: الإشادة بصفات الله سبحانه

المطلب الثالث: جدال الكفار بالباطل

المطلب الرابع: الاعتبار مما حدث للأقوام السابقة

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية(7-9)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حال الملائكة الأطهار والمؤمنين الأبرار

المطلب الثاني: أدب الدعاء والسؤال

المطلب الثالث: دعاء الملائكة للمؤمنين

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية(10-20)

وفيه اربعة مطالب

المطلب الأول: تيقن المجرمين من عذاب النار، وأن الحكم والقضاء لله وحده

المطلب الثاني: الآيات الدالة على قدرة الله الباهرة في مخلوقاته

المطلب الثالث: إخلاص العبادة لله

المطلب الرابع: مشاهد من يوم القيامة

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (21-40)

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية(21-27)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عاقبة الظلم والكفر

المطلب الثاني: معجزات سيدنا موسى عليه السلام-

المطلب الثالث: استكبار وظلم فرعون وهامان وقارون

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية(28-40)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: ظهور مؤمن آل فرعون

المطلب الثاني: هلاك فرعون وقومه ونجاة المؤمنين

المطلب الثالث: متاع الدنيا قليل زائل والآخرة كثير دائم

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس العامة وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولا: فهرس الآيات القرانية

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

رابعاً: فهرس الموضوعات

خامساً: مخلص البحث وترجمته

التمهيد

تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

المبحث الثالث: تعريف عام بسورتي الزمر وغافر

المبحث الأول:

التعريف بالدراسة التحليلية

وفيه مطلبان

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية

أولاً : تعريف الدراسة لغة

هي مصدر الفعل (دَرَسَ)، ودرس الكتاب ونحوه أي كرر قراءته ليحفظه ويفهمه، ودرس العلم على فلان أي تلقاه عنه وتتلمذ على يديه، وقيل درس تعني عفا، وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء[١].

ثانياً : تعريف التحليلية لغة

(التحليلية): اسم مؤنَّث منسوب إلى(تَحْليل)، والمصدر من الفعل الرباعي (حلَّل) [٢].

وأصل الفعل: "مأخوذ من معنى الفتح والإطلاق، وأصل الحل: حل العقدة، وهو نقيض العقد، ومنه قوله تعالى خبراً عن موسى _عليه السلام _: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي**﴾ {طه:٢٧}"[٣].
والحلال: ضِدُّ الحرام، وهو من الأصل الذي ذكرناهُ، كأنه من حَلَلْتُ الشيء، إذا أبحْتَه وأوسعته لأمرٍ فيه.
وحَلَّ: نزل. وهو من هذا الباب لأن المسافر يشُدّ ويَعقِد، فإذا نزلَ حَلّ؛ يقال حَلَلْتُ بالقوم.
وحليل المرأة: بعلها؛ وحليلة المرء: زوجُه. وسُمِّيا بذلك لأن كلّ واحدٍ منهما يَحُلُّ عند صاحبه.

ثالثاً : تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحاً :

وعلى هذا يمكن تعريف الدراسة التحليلية بأنها تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، وتحليلها تحليلاً يفك ما صعب فهمه، والتعمق في أسرارها، للتوصل لغايتها ومعرفة المراد منها.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٣٦٠/٢)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار(٧٣٧/١).
(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لعمر مختار (٥٤٧/١).
(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، لمحمود عبد المنعم (٤٥٤/٢).

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية

لا بد للباحث في النص القرآني من التحلي بصفات ذاتية، ومنهجية علمية عند التعامل مع الآيات حتى يتسنى له الفوز بالهدف المنشود من دراسته التحليلية ومن ذلك:

١. أن يكون مؤمناً سليم المقصد لينال التسديد، ويكون تقياً، مقبلاً على الطاعات، وقاطعاً لعلاقته مع المنكرات والمعاصي، ليحظى بتوفيق الله سبحانه، ويفتح عليه ربه من بركاته، فهو يعمل في أجّل المجالات وأعظمها.

٢. أن يكون صحيح العقيدة ؛لأن صحة العقيدة وسلامتها لها أثر كبير في نفس صاحبها، وما يحمله المرء من أفكار ومعتقدات تظهر في كلامه منطوقاً ومكتوباً ، ولابد أن تؤثر على دراسته وأهدافه التي يستخلصها أثناء بحثه.

٣. التجرد من الهوى ؛لأن الأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذاهبهم، وإثبات صحتها، والتعصب لها ولو كانت على غير الحق.

٤. حسن الخلق والتواضع ولين الجانب؛ فالصلف والتكبر يحولان بين العالم والانتفاع بعلمه، فلو كان علمه نافعاً لنفعه.

٥. أن يتحلى بالتأني والروية في حديثه، فعليه أن يتأنى حتى يحسن في دراسته ويقويها، ويلم بكل نافع ومفيد، أيضاً ليحذر أن يسرد كلامه سرداً سريعاً لا يفهمه القارئ والمتلقي؛ بل عليه أن يفصل الكلام ويبينه ويوضحه فيكون مفهوماً .

٦. الإلمام بعلوم اللغة العربية، قال أبو حيان الأندلسي[١]: "لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان"[٢].

٧. رزانة الأحلام ورجحان العقول، والنظر والفكر الصحيح المؤدي إلى إدراك الحق، وهذا يعكس أهمية الموهبة الفطرية لدى الباحث في النص القرآني.

---

(١) محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الإمام العلامة ذو الفنون حجة العرب أبو حيان الأندلسي الجياني ثم الغرناطي الشافعي، عالم الديار المصرية،وصاحب التصانيف البديعة، أخذ عن علماء الأندلس والعدوة ومصر، توفي عشي يوم السبت ثامن عشري صفر سنة (٧٤٥هـ، ١٣٤٤م). [المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي (٢٦٨/١)].

(٢) البحر المحيط (١٠٩/١).

٨. الدراية بالعلوم التي لها صلة بعلم التفسير كالمكي والمدني، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، وأسباب النزول، والمطلق والمقيد والقراءات...الخ، وباقي العلوم الاسلامية كعلم الفقه وأصوله، وعلم الحديث [١].

٩. "أن يبدأ أولاً تفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنه قد فصل في موضع آخر، وما اختصر منه في مكان فإنه قد بسط في مكان آخر"[٢].

١٠. أن يفسر من السنة والأحاديث النبوية الصحيحة منها، فإن سنة النبي ﷺ شارحة للقرآن موضحة له؛ فالنبي لا ينطق عن الهوى، إنما ما يصدر منه هو من ربه، والسنة مبينة لما في القرآن الكريم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤] وقال ﷺ: **(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)**[٣] يعني: السنة، والأمثلة على أن السنة موضحة للقرآن كثيرة منها تفسير السبيل بالزاد والراحلة، وتفسير الظلم بالشرك.[٤]

١١. فإذا لم يجد التفسير من القرآن أو السنة، يرجع إلى أقوال الصحابة الذين شهدوا النبي ﷺ وعايشوه، وشهدوا الأحوال التي نزلت فيها الآيات، فإذا لم يجده فيطلب ذلك من أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومسروق، وقتادة وغيرهم من التابعين الذين لقوا أصحاب النبي ﷺ وتلقوا منهم، وتكلموا بعض الأحيان بالاستنباط والاستدلال، أو يأخذ من الأئمة المفسرين الذين برعوا في تفسير القرآن.[٥]

---

(١) انظر: "بيان المعاني"، عبد القادر بن ملّا حويش (١/٧-٨).

(٢) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (٣٣٠).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٨/٤١٠) ح١٧١٧٤، قال عنه الألباني إنه حديث مشهور صحيح. (انظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٢/٣٢٥).

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان (٣٣٠).

(٥) انظر: المرجع السابق (٣٣٠).

المبحث الثاني

تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

المطلب الخامس: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف المقاصد لغة

جمع مقصد، يقال: قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْداً ومَقْصَداً، وقد استعملت كلمة القصد في لغة العرب لمعانٍ عديدةٍ منها:

١_العدل والوسط بين الطرفين: يقال قاصداً أي طريقاً معتدلاً ، والقصد في الشيء هو ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة الاعتدال بينهما.(١)

٢_"استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[النحل: ٩]، أي على الله تبين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، **﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾** أي: ومنها طريق غير قاصد".(٢)

٣_وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر: "مقصد مفرد مقاصد وهو اسم مكان من قصد (قصد إلى، قصد في، قصد مثل مقصدي مكة) وأيضاً بمعنى غاية، فحوى مثل مقصدي من فعل كذا مساعدته، ومقاصد الشريعة تعني الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام أي ما وراء السطور أو ما بينها ".(٣)

٤_"إتيان الشيء: تقول قَصَدْتُه وقَصَدْتُ له وقَصَدْتُ إليه بمعنى واحد".(٤)

٥_"الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء: قال ابن جنّي(٥): "ق ص د "ومواقعها في كلام العرب للاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور ".(٦)

٦_"الاعتماد والأم: يقال: قَصَده يَقْصُده قَصْدَاً ، إذا أمه واتجه إليه".(٧)

---

(١) لسان العرب،لابن منظور (٣٦٤٢/٥).

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصر، لأحمد مختار (١٨٢٠/٣).

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس (٩٥/٥).

(٥) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو وله شعره ولد بالموصل وتوفي ببغداد عن نحو ٦٥عاماً، من تصانيفه شرح ديوان المتنبي، البهيج، الخصائص.[(انظر: الأعلام، للزركلي(٢٠٤/٤)].

(٦) لسان العرب، لابن منظور (٣٦٤٣/٥).

(٧) المرجع السابق.

ثانياً : تعريف المقاصد اصطلاحاً

مقاصد الشريعة في اصطلاح العلماء:"هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان"[١]. وعرفت أيضاً بأنها: "مقاصد الشريعة على الأهداف العامة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس، وتطلق أيضاً على الأهداف الخاصة التي شرع لتحقيق كل منها حكم خاص"[٢]. وعرفت أيضاً بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة"[٣].

المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف الأهداف لغة:

الأهداف: جمع مفرده (هدف)، وبالرجوع إلى كتب اللُّغة يتبين المعنى اللُّغوي كالآتي: الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ: أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِصَابٍ وَارْتِفَاعٍ. وَالْهَدَفُ: كُلُّ شَيْءٍ عَظِيمٍ مُرْتَفِعٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الرَّجُلُ الشَّخِيصُ الْجَافِي هَدَفًا، وَالْهَدَفُ: الْغَرَضُ، وَامْرَأَةٌ مُهْدِفَةٌ: لَحِيمَةٌ.[٤]

و(الهَدَفُ): كُلُّ مُرْتَفِعٍ من بناءٍ أَو كَثِيبِ رَمْلٍ أَو جَبَلٍ.

وتلتقي هذه الشروح في مفهوم: الغرض والارتفاع والانتصاب، أي البروز والظهور.

ثانياً : تعريف الأهداف اصطلاحاً:

"أهداف الشارع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد".[٥]

---

(١) رسالة ماجستير بعنوان: أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة دراسة تحليلية، إعداد الطالب: حسن عبدالله الخطيب، إشراف د. عبد الكريم الدهشان (ص:٥٧).

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية (ص: ١)

(٣) نظرية المقاصد عند ابن عاشور (ص: ١١٥).

(٤) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩/٦)، لسان العرب، لابن منظور (٣٤٦/٩)

(٥) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ليوسف حامد العلم (ص: ٧٩).

المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف

المقاصد تتميز عن الأهداف بما يأتي:

١. المقاصد هي الحكمة والمبادئ والنتائج التي تسعى الأهداف إليها، فإن تحققت الأهداف أصبحت النتائج مقصودة لذاتها، فالأعمال شرعت للوصول إلى المقاصد.

٢. تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ودرء المفاسد ودفع المضار المقصود الأساسي وراء أي عمل.

٣. المقاصد هي الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحات، وتسعى إلى تحقيق مفهومها في حياة المكلفين، أفراداً وأسراً وجماعات.

٤. المقاصد هي المعاني والحكم الملحوظة من الآيات.

٥. المقاصد العليا تمثل القيم التي من أجلها أُسْتُخلِفَ الإنسان على الأرض، وهي: توحيد الله، وتزكية الإنسان، وعمران الأرض.

والأهداف تتميز عن المقاصد بما يأتي:

١. أن الأهداف تكون قبل أي نتاج علمي ؛لأنها قد تتحقق وقد لا تتحقق.

٢. يختلف تعريف الهدف تبعاً لنوعية ومستوى عموميته.

٣. الهدف الواحد ينقسم إلى عدة أهداف: سلوكية، تطبيقية، وجدانية، مهارية.

٤. الأهداف العامة والخاصة لابد من ربطها بالواقع التطبيقي للحياة قدر الإمكان.

٥. الأهداف الكبرى والعامة تهتم وتعتني في صياغة القيم والاتجاهات والتراث والآمال والأهداف.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات

١. إن تفسير القرآن –باعتباره مقاصد السور– يجعل كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه ومعانيه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، وكالعقد المتناسق.

٢. ربط الآيات بالواقع يتحقق بمعرفة علم مقاصد السور، والتدبر في مقصد السورة يزيد من تفاعل المفسّر والدّارس، ويساعد على التطبيق.

٣. أن معرفة مقاصد السور سبيل للسلامة من الخطأ أو تفسير كلام الله تعالى على غير مراده.

٤. إن علم مقاصد السور راجع إلى بيان المقصد من إنزال القرآن كله، وهو التدبر والهداية كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، فالله ﷻ أمرنا بالتدبر لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده، قال الشاطبي: "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقُّه في العبارة، وإنما التفقُّه في المعرفة المراد به"[١]، ويُعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً ، والتّبحّر في آياته ودلالته.

٥. إدراك المقاصد يساعد الدعاة والباحثين على الفهم الصحيح لغايات كلام رب العالمين وتحقيق أهدافهم، فلا ينشغلون بالمظاهر الفارغة الجوفاء، ويحفظهم من الزلل والاعوجاج.[٢]

٦. إن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله تعالى

٧. إن هذا العلم يرسّخ الإيمان، وينير القلب، وتقرّ به العين، ويوضح ما فيه من روائع هذا العلم العظيم.

٨. تنتظم آيات السورة، وتظهر المناسبات بين آياتها بمعرفة مقصد السورة، فتكون لحمة واحدة يجمعها معنى واحد.

---

(١) الموافقات (٢٦٢/٤).

(٢) انظر: كتاب علم مقاصد السور، لمحمد عبد الله الربيعة (ص:١١-١٣).

المطلب الخامس: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات

كتب كثير من العلماء والمفسرين في علم المقاصد، ولكن منهم من أشار إليه من غير تصريح بلفظ الغرض أو المقصد، وهذا الصنف ظهر في المتقدمين من المفسرين مثل:

١_ الإمام القرطبي صاحب تفسير "الجامع لأحكام القرآن".

٢- ابن كثير صاحب كتاب "تفسير القرآن العظيم".

ومن المفسرين هؤلاء الذين عنوا بعلم مقاصد السورة وسلكوا فيه منهجاً في تفاسيرهم، من هؤلاء:

١_ البقاعي في كتابيه "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، "ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

٢_ابن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير".

٣_سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن".

٤_وهبة الزحيلي في كتابه "التفسير المنير".

٥_الفيروز أبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".

٦_محمد متولي الشعراوي في خواطره.

٧_عبد الله شحاته في كتابه " أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم".

المبحث الثالث

تعريف عام بسورتي الزمر وغافر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الزمر

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة غافر

المطلب الأول:

تعريف عام بسورة الزمر

أولاً : اسم السورة وعدد آياتها، ومكان وزمان نزول السورة

ثانياً: جو نزول السورة

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسية

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الزمر

أولاً : اسم السورة، وعدد آياتها ومكان وزمان نزولها، وفضائلها

١ – اسم السورة:

أ–**الزمر:** هو اسم توقيفي لهذه السورة، وسميت بهذا الاسم لوقوع هذا اللفظ فيها دون غيرها من السور، ولقد سميت سورة الزمر من عهد النبي ﷺ فقد روي الترمذي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "**كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل**" (١).

وعن سبب تسميتها بالزمر أيضاً لأنها اشارة إلى أنه سبحانه أنزل كلاً من المحشورين داره المعدة له بعد الإعذار في الإنذار، والحكم بينهم بما استحقته أعمالهم، عدلاً منه سبحانه في أهل النار، وفضلاً على المتقين الأبرار (٢).

ب–**الغرف:** ذكر القرطبي: في تفسيره عن وهب بن منبه(٣) أنه سماها سورة الغرف والسبب في التسمية ذكر لفظ الغرف أي بهذه الصيغة دون الغرفات في قوله تعالى: **﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾** [الزمر: ٢٠] (٤). وأيضا إشارة إلى حكمه سبحانه في الفريقين أهل الظلل النارية والغرف النورية (٥).

ج– **تنزيل:** كذلك سميت تنزيل لمن تأمل آياتها أو حقق عباراتها وإشاراتها.

٢ – عدد آيات السورة: وعدت آياتها عند المكيين والمدنيين والبصريين اثنتين وسبعين، وعند أهل الشام ثلاثاً وسبعين، وعند أهل الكوفة خمساً وسبعين، وكلماتها: ألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة، وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة وثمانية أحرف (٦).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، (٥/ ٤٧٥)، حديث رقم: ٣٤٠٥، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٤٠).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٣١١/٢٣)، محاسن التأويل، القاسمي (٢٧٨/٨).

(٣) وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبناوي، ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة. [انظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٨٥)].

(٤) جامع أحكام القرآن، للقرطبي (٢٣٢/١١٥).

(٥) نظم الدرر، للبقاعي (٤٣٦/١٦).

(٦) حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين (٤٧٠/٣٤).

٣- مكان وزمان نزول السورة:

أ- سورة الزمر سورة مكية عند الجمهور، وعن ابن عباس قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر:٥٣]. "الآيات الثلاث قيل إلى سبع آيات نزلت بالمدينة في قصة وحشي قاتل حمزة، وعن عمر بن الخطاب أن تلك الآيات نزلت بالمدينة في هشام بن العاص بن وائل إذ تأخر عن الهجرة إلى المدينة بعد أن استعد لها، وفي رواية أن معه عياش بن ربيعة وكانا تواعدا على الهجرة إلى المدينة فافتتنا، والأصح أنها نزلت في المشركين".[١]

ب- وعن ابن عباس قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...**﴾ الآية، [الزمر: ٢٣] نزلت بالمدينة.

ج- قال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدنيات: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].[٢]

والملاحظ أن الآيات المختلف فيها تسع آيات، والذي ترجحه الباحثة أن سورة الزمر مكية بجملتها والدليل على ذلك أن أغراضها الكثيرة تحوم حول اثبات تفرد الله تعالى بالألوهية، وابطال الشرك فيها، والذي أبطل تعللات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم، وتنفي ضرباً من ضروب الإشراك وهو زعمهم أن لله ولداً، تعالى الله عما يقولون.

أما زمان نزولها فقد نزلت قبل هجرة المؤمنين إلى الحبشة، أي في سنة خمس قبل الهجرة وهي السورة التاسعة والخمسون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة سبأ وقبل سورة غافر.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣ /٣١١).

(٢) زاد المسير، لابن الجوزي (٧/٤).

فضائل السورة:

ورد في فضل السورة ما رواه النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يفطر، ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر**(١).

وقال وهب بن منبه: "من أحب أن يعرف قضاء الله ﷻ في خلقه فليقرأ سورة الغرف أي سورة الزمر"(٢). وفي رواية الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: **كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل**(٣).

ثانياً: جو نزول السورة

تفضل الله تعالى على عباده بأعظم هدية وأكرم منحة خالدة، وهي تنزيل القرآن الكريم تدريجاً في مبدأ الأمر والوحي الإلهي، إلى أن اكتمل وحفظ حفظاً تاماً في الصدور والكتابة، من غير زيادة ولا نقص ولا تعديل ولا تبديل لشيء فيه، وسيظل محفوظاً بكفالة الله تعالى وتعهده إلى يوم القيامة، وأنزله الله بالحق والميزان فأبطل عقائد المشركين الوثنية ونفي اتخاذ الله ولداً، وشرَّع الشرائع، وأبان الحلال والحرام (٤).

يقول سيد قطب: "إن ظل الآخرة يظللها من أولها إلى آخرها.وسياقها يطوف بالقلب البشري هناك في كل شوط من أشواطها القصيرة ؛ويعيش به في ظلال العالم الآخر معظم الوقت! ومن ثم تتلاحق فيها مشاهد القيامة حتى تختم بمشهد خاشع يرسم ظل ذلك اليوم وجوه: **﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ**

---

(١) السنن الكبرى، للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل قراءة سورة تبارك (٩/ ٢٦٣)، حديث رقم: ١٠٤٨٠، وحسن إسناده فاروق حمادة في تحقيقه لكتاب عمل اليوم الليلة للنسائي (ص: ٤٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٣/ ٨٨٢).

(٣) سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب منه (٥/ ٣٤٧)، حديث رقم: ٣٤٠٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٤٠)، حديث رقم: ٦٤١.

(٤) التفسير الوسيط، للزحيلي (٣/٢٢٢٠).

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزمر: ٧٥]. هذا الظل يتناسق مع جو السورة ولون اللمسات التي تأخذ القلب البشري بها، فهي أقرب إلى جو الخوف والخشوع والفزع والارتعاش".[١]

ثالثاً: محور السورة وخطوطها الرئيسة

أ_ يدور محور السورة حول العقيدة والإيمان، وتناولت أيضاً القضايا الكبرى الأساسية لأصولها وهي: الألوهية والوحي والرسالة والبعث والجزاء.

يقول الصابوني: "وقد تحدثت السورة عن عقيدة التوحيد بالإسهاب، حتى لتكاد تكون هي المحور الرئيس للسورة لأنها أصل الإيمان، وأصل العقيدة السليمة وأصل كل عمل صالح [٢].

ب_ إحباط مكر الكافرين بأنبياءهم في كل زمان ومكان.

ت_ توجيهات وإيحاءات لإيقاظ قلب الإنسان واستجاشته وإثارة حساسيته.

ث_ مشاهد كونية تثبت أن الله هو خالق هذا الكون، وهو من يستحق العبادة.

ج_" بيان مهمة الرسول ﷺ، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وتحذيره من مجاملة المشركين في دعوتهم" [٣].

ح_ ختمت السورة بمشهد من مشاهد يوم القيامة يبدأ بالنفخة الأولى، وينتهي بانتهاء الموقف، وسوق أهل النار إلى النار وسوق أهل الجنة إلى الجنة، وتفرد الله ذي الجلال والإكرام وتوجه الوجود لذاته بالتسبيح والتحميد.

رابعاً: مناسبة السورة لما قبلها

لما تبين من التهديد في سورة "ص" أنه سبحانه قادر على ما يريد، ثم ختمها بأن القرآن ذكر للعالمين، وأن كل ما فيه لابد أن يُرى لأنه واقع لا محالة لكن من غير عجلة، فكانوا ربما قال متعنتهم: ماله إذا كان قادراً لا يعجل ما يريده بعد حين، علل ذلك بأنه تنزيل أي بحسب التدرج لموافقة المصالح في أوقاتها وتقريبه للأفهام على ماله من العلو حتى صار ذكرهم للعالمين [٤].

---

(١) في ظلال القرآن (٣٠٣٤٤/٥)

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني (٦٦/٣).

(٣) التفسير المنير، للزحيلي (٩٨/١٣).

(٤) نظم الدرر، للبقاعي (٤٣٧/١٦).

و"لما بينت سورة ص على ذكر المشركين وعنادهم وسوء ارتكابهم واتخاذهم الأنداد والشركاء، ناسب ذلك ما افتتحته سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حالهم"[1].

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: ٢٩٠)

المطلب الثاني

تعريف عام بسورة غافر

أولاً : اسم السورة وعدد آياتها، وترتيبها، ومكان وزمان نزول السورة

ثانياً: جو نزول السورة

ثالثاً: أغراض السورة

رابعاً: فضائل السورة

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها

أولاً: اسم السورة، وعدد آياتها، وترتيبها، ومكان وزمان نزولها

١-اسم السورة:

أ- غافر: وَتُسَمَّى سُورَةُ غَافِرٍ لِذِكْرِ وَصْفِهِ تَعَالَى: **﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾** [غَافِرِ: ٣] فِي أَوَّلِهَا. وَبِهَذَا الِاسْمِ اشْتُهِرَتْ فِي مَصَاحِفِ الْمَغْرِبِ.

ب- سُورَةُ الْمُؤْمِنِ: وَرَدَتْ تَسْمِيَةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي السُّنَّةِ (حم الْمُؤْمِنِ)، رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**من قَرَأَ حم الْمُؤْمِنِ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ [غَافِر: ١- ٣]، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا**)[(١)]، وَبِذَلِكَ اشْتُهِرَتْ فِي مَصَاحِفِ الْمَشْرِقِ، وَوَجْهُ التَّسْمِيَةِ أَنَّهَا ذُكِرَتْ فِيهَا قِصَّةُ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ وَلَمْ تُذْكَرْ فِي سُورَةٍ أُخْرَى بِوَجْهٍ صَرِيحٍ. وورد بِإِضَافَتِهِ إِلَى لَفْظِ (الْمُؤْمِنِ) بِتَقْدِيرِ: سُورَةُ حم ذِكْرِ الْمُؤْمِنِ أَوْ لَفْظِ الْمُؤْمِنِ.

ت- سورة الطول: تُسَمَّى أَيْضًا (سُورَةُ الطَّوْلِ) لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهَا: **﴿ذِي الطَّوْلِ﴾** [غَافِر: ٣] وَقَدْ تُنُوسِيَ هَذَا الِاسْمُ. [(٢)]

٢-عدد آيات السورة:

وَقَدْ عُدَّتْ آيَاتهَا أَرْبَعًا وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ مَكَّةَ، وَخَمْسًا وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الشَّامِ وَالْكُوفَةِ، وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ فِي عَدِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ.

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ١٥٨)، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة، وآية الكرسي، حديث رقم: ٢٨٧٩، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٨٣٢). هذا ويجوز رواية الحديث الضعيف ،ولكن بشروط أن يروى في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، وألا يتعلق بأمور العقائد والأحكام الشرعية، أو بأمور الحلال والحرام .

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/٧٥).

٣- ترتيب السورة:

أما ترتيب السورة في المصحف جُعِلَتِ السِّتِّينَ فِي عِدَادِ تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الزُّمَرِ وَقَبْلَ سُورَةِ فُصِّلَتْ وَهِيَ أَوَّلُ سُوَرِ (آلِ حم) نُزُولًا، والسُّوَرُ بِكَلِمَةِ (حم) سَبْعُ سُوَرٍ مرتبَة فِي الْمُصحف عَلَى تَرْتِيبِهَا فِي النُّزُولِ وَيُدْعَى مَجْمُوعُهَا (آلَ حم) جَعَلُوا لَهَا اسْمَ (آلِ) لِتَآخِيهَا فِي فَوَاتِحِهَا. فَكَأَنَّهَا أُسْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَلِمَةٌ (آلِ) تُضَافُ إِلَى ذِي شَرَفٍ (وَيُقَالُ لِغَيْرِ الْمَقْصُودِ تَشْرِيفُهُ أَهْلُ فُلَانٍ) قَالَ الْكُمَيْتُ[١]: قَرَأْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمَ آيَةً... تَأَوَّلَهَا مِنَّا فَقِيهٌ وَمُعْرِبُ.[٢]

٤- مكان وزمان نزول السورة

هي مكية بالإتفاق[٣]، وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مَقْرُوءَةً عَقِبَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ، أَيْ سَنَةَ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لِمَا سَيَأْتِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ قَرَأَ آيَةَ **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾** [غَافِر: ٢٨] حِينَ آذَى نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَإِنَّمَا اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ.[٤]

---

(١) الكميت بن زيد بن خنس الأسدي، أبو المستهلّ: شاعر الهاشميين، وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبا للمضرية على القحطانية. وهو من أصحاب الملحمات، أشهر شعره " الهاشميات – ط " وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين، ترجمت إلى الألمانية، واجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وكان فارسا شجاعا، سخيا، راميا لم يكن في قومه أرمى منه. وقال الميداني: الكميت ثلاثة: الكميت ابن ثعلبة، ثم الكميت بن معروف، ثم الكميت بن زيد، وكلهم من بني أسد. ولعبد المتعال الصعيدي " الكميت ابن زيد – ط " سيرته والهاشميات. [انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٣٣)].

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧٦/٢٤).

(٣) انظر: تفسير المراغي (٤١/٢٤)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٦٧)، بصائر ذوي التمييز، للفيروزبادي(٤٠٩/١).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٧٦).

ثانياً: جو نزول السورة

يقول سيد قطب: "هذه السورة تعالج قضية الحق والباطل، قضية الإيمان والكفر، قضية الدعوة والتكذيب وأخيرا قضية العلو في الأرض والتجبر بغير الحق، وبأس الله الذي يأخذ العالين المتجبرين.. وفي ثنايا هذه القضية تلم بموقف المؤمنين المهتدين الطائعين ونصر الله إياهم، واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله لدعائهم، وما ينتظرهم في الآخرة من نعيم.

وجو السورة كله- من ثم- كأنه جو معركة، وهي المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والطغيان، وبين المتكبرين المتجبرين في الأرض وبأس الله الذي يأخذهم بالدمار والتنكيل. تتسم خلال هذا الجو نسمات الرحمة والرضوان حين يجيء ذكر المؤمنين! ذلك الجو يتمثل في عرض مصارع الغابرين، كما يتمثل في عرض مشاهد القيامة- وهذه وتلك تتناثر في سياق السورة وتتكرر بشكل ظاهر- وتعرض في صورها العنيفة المرهوبة المخيفة متناسقة مع جو السورة كله، مشتركة في طبع هذا الجو بطابع العنف والشدة.

ولعله مما يتفق مع هذه السمة افتتاح السورة بإيقاعات ذات رنين خاص: **(غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ)**، فكأنما هي مطارق منتظمة الجرس ثابتة الوقع، مستقرة المقاطع، ومعانيها كذلك مساندة لإيقاعها الموسيقي! كذلك نجد كلمة البأس، وبأس الله، وبأسنا، مكررة تتردد في مواضع متفرقة من السورة. وهناك غيرها من ألفاظ الشدة والعنف بلفظها أو بمعناها"[1].

ثالثاً: أغراض السُّورَةِ

ذكر ابن عاشور أغراض السورة كما يأتي:

١. أُصُولِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَابْتُدِئَتْ بِمَا يَقْتَضِي تَحَدِّي الْمُعَانِدِينَ فِي صِدْقِ الْقُرْآنِ كَمَا اقْتَضَاهُ الْحَرْفَانِ المقطّعان فِي فاتحتها.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٦٥).

٢. أُجْرِيَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِهِ مَا فِيهِ تَعْرِيضٌ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، فَكَانَتْ فَاتِحَةَ السُّورَةِ مِثْلَ دِيبَاجَةِ الْخُطْبَةِ مُشِيرَةً إِلَى الْغَرَضِ مِنْ تَنْزِيلِ هَذِهِ السُّورَةِ.

٣. دَلَائِلَ تَنْزِيلِ هَذَا الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ بَيِّنَةٌ لَا يَجْحَدُهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ مِنَ الِاعْتِرَافِ بِهَا حَسَدًا، وَأَنَّ جِدَالَهُمْ تَشْغِيبٌ وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ الْمُجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَتَمْثِيلُ حَالِهِمْ بِحَالِ الْأُمَمِ الَّتِي كَذَّبَتْ رُسُلَ اللَّهِ بِذِكْرِهِمْ إِجْمَالًا، ثُمَّ التَّنْبِيهُ عَلَى آثَارِ اسْتِئْصَالِهِمْ وَضَرْبُ الْمَثَلِ بِقَوْمِ فِرْعَوْنَ. وَمَوْعِظَةُ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ بِمَوَاعِظَ تُشْبِهُ دَعْوَةَ مُحَمَّد.

٤. دَلَائِلِ تَفَرُّدِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِلَهِيَّةِ إِجْمَالًا، وَإِبْطَالُ عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَالتَّذْكِيرُ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ لِيَشْكُرَهُ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ شُكْرِهِ. وَالِاسْتِدْلَالُ عَلَى إِمْكَانِ الْبَعْثِ. وَإِنْذَارُهُمْ بِمَا يَلْقَوْنَ مِنْ هَوْلِهِ وَمَا يَتَرَقَّبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَوَعُّدُهُمْ بِأَنْ لَا نَصِيرَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَبِأَن كبراءهم يتبرؤون مِنْهُمْ. وَتَثْبِيتُ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ بِتَحْقِيقِ نَصْرِ هَذَا الدِّينِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ. وَتَخَلَّلَ ذَلِكَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَوَصْفُ كَرَامَتِهِمْ وَثَنَاءُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ.(١)

رابعاً: فضائل السورة

وَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **(مَنْ قَرَأَ حم الْمُؤْمِنِ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ(غَافِر: ١، ٣) وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يصبح)** (٢).

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٧٨).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ١٥٧)، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة وآية الكرسي، حديث رقم: ٢٨٧٩، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٨٣٢).وقد ذكرنا سابقاً حكم رواية الحديث الضعيف.

وقال ابن مسعود ﷺ: "الحواميم ديباج القرآن" [١]. وقوله ﷺ "**الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم، فتجيء كل حم منهن يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني**".[٢]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "**لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم**"[٣]، وقال البيضاوي في حم السجدة: "ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة بيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى"[٤]، أي: أخذاً مما قيل إن حم اسم من أسماء القرآن.

خامساً: مناسبة السورة لما قبلها

الاستدلال على آخر التي قبلها من تصنيف الناس في الآخرة إلى صنفين، وتوفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن الفاعل ذلك له العزة الكاملة والعلم الشامل، وقد بين ما يغضبه وما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة، فمن لم يسلم أمره كله إليه وجادل في آياته الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فإنه يخزيه فيعذبه ويرديه.

ولما كان ختام التي قبلها إثبات الكمال لله صدقه في وعده ووعيده بإنزال كل فريق داره التي أعدها له، ثبت أن الكتاب الذي فيه ذلك منه، وأنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال فقال: (تنزيل الكتاب) أي: الجامع من الحدود والأحكام والمعارف والإكرام لكل ما يحتاج إليه بإنزاله بالتدريج على حسب المصالح والتقريب للأفهام الجامدة القاصرة، والتدريب للألباب السائرة في جو المعاني والطائرة من الله، أي الجامع لجميع صفات الكمال.[٥] وذكر المراغي في تفسيره مناسبة بداية سورة غافر بنهاية سورة الزمر ما يأتي:

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٢/ ٤٧٤)، حديث رقم: ٣٦٣٤، ولا يصح نسبة الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني (٨/ ٣١).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي (٤/ ١٠٥)، حديث رقم: ٢٢٥٠، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٣/ ٤٠٥).

(٣) التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٦٦).

(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٦٦).

(٥) نظم الدرر، للبقاعي (٦/ ٤٨٢).

١. إنه ذكر في سابقتها ما يئول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا أنه غافر الذنب، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر.

٢. إنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه، وهم في المحشر وهم في النار.[١]

(١) تفسير المراغي (٢٤/ ٤١).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات (٣٢-٥٢)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(32-37)

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (38-45)

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(46-52)

المبحث الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٣٢-٣٧)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: افتراء الكذب على الله من أكبر الظلم

المطلب الثاني: جزاء المصدقين المؤمنين

المطلب الثالث: الهداية من عند الله وحده

المطلب الأول: افتراء الكذب على الله من أكبر الظلم

قبيحة من قبائح أفعال الكفار المشركين، وهو أنهم يكذبون الله، ويكذبون القائل المحق وهو رسوله الكريم ﷺ، لكن أليس في نار جهنم الواسعة العريضة مقام ومأوى وسكنى لهؤلاء الكافرين؟ بلى، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله تعالى: **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].**

أولاً: المناسبة

بعد أن بالغ واستقصى الله تعالى في بيان وعيد الكفار، وأردفه بذكر مثل يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم في قوله: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا..﴾** أتى هنا بأسوأ اعتقادهم وهو تكذيب الله بإثبات ولد له أو شريك، وتكذيب الرسول ﷺ بعد إثبات صدقه بالأدلة القاطعة، وختمه بوعيدهم في جهنم(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**فَمَنْ أَظْلَمُ:** أي لا أحد أظلم مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ بنسبة الشريك والولد إليه(٢).

٢-**وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ:** وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ (٣).

٣-**مَثْوىً:** مقاماً ومأوى(٤).

٤-**لِلْكافِرِينَ:** اللام تحتمل العهد (أي كفار قريش)، والجنس: جميع الكفار، وذلك يكفيهم جزاء لأعمالهم(٥).

ثالثاً: البلاغة

١-**مَثْوىً لِلْكافِرِينَ:** فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي مثوى لهم(٦).

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١٢/ ١١٥٢)،
(٢) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٨٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١).
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٣٨).
(٥) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٨١).
(٦) انظر: البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٣)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٦/ ٥١٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي

نوع آخر من قبائح أفعال الكفار المشركين، وهو أنهم يكذبون الله، ويكذبون القائل المحق وهو رسوله الكريم ﷺ، والمعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فزعم أن له ولداً أو شريكاً أو صاحبة، وحرّم وحلل من غير أمر الله، وكذب بما جاء به رسول الله ﷺ من دعوة الناس إلى التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهيهم عن محرّماته، وإخبارهم بالبعث والنشور، فهم جمعوا بين طرفي الباطل: كذب على الله تعالى، وتكذيب رسول الله ﷺ، بعد قيام الأدلة القاطعة على كونه صادقا في ادعاء النبوة.(١)

ثم أردفه بوعيدهم فقال: **﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ﴾**؟ بلى، أي أليس في نار جهنم الواسعة العريضة مقام ومأوى وسكنى لهؤلاء الكافرين. وفيه تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم، وهو الكفر. والمراد: ألا يكفيهم العذاب في جهنم جزاء على أعمالهم؟ وهو استفهام تقرير وإثبات، لا نفي(٢).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- لا أحد عند الله أظلم ممن كذب عليه، فزعم أن له ولداً وشريكاً، وكذّب بالقرآن الذي جاء به النبي المصطفى ﷺ (٣).

٢- يكفي هؤلاء الجاحدين مقراً ومقاماً جهنم، وساءت مصيراً(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٨٨)، المحرر الوحيز، لابن عطية (٤/ ٥٢٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ٩٨)، تفسير المراغي (٢٤/ ٤).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، لابن أبي طالب (١٠/ ٦٣٣٨)، التفسير البسيط، للواحدي (١٧/ ٥٦٢)، زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ١٨).

(٣) مراح لبيد، للجاوي (٢/ ٣٣١).

(٤) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٤٨٦).

المطلب الثاني: جزاء المصدقين المؤمنين

النبي ﷺ الذي جاء بالصدق والحق، وأتباعه الذين صدقوا به، هم المتقون الله حق التقوى، لذلك عدد الله ﷻ لهم الثواب على هذه الفضيلة تنبيهاً على أهميتها وشرفها، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله تعالى **﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الزمر: ٣٣-٣٥].

أولاً: المناسبة

بعد الاستقصاء في بيان وعيد الكفار، وذكر مثلاً يدل على قبح طريقتهم، أتبعه ﷻ بوعد الصادق المصدوق، ووعد أتباعه المصدقين المؤمنين، من تكفير السيئات، ومنحهم أفضل الثواب، ليكون الوعد مقروناً بالوعيد(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ:** هو النبي ﷺ (٢).

٢-**وَصَدَّقَ بِهِ:** هم أتباعه المؤمنون، كأبي بكر الصديق ﷺ، لذا قال: أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(٣).

٣-**الَّذِي عَمِلُوا:** ما عملوه من المعاصي. وخص الأسوأ للمبالغة، فإنه إذا كفّر كان غيره أولى بذلك. ويقابلهم بالأحسن في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم في أعمالهم(٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

أتبع ﷻ ذكر الوعيد السابق بوعد الصادقين المصدقين، فقال: **﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** أي: أما الذي جاء بالصدق والقول الحق وهو رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء وإمام الرسل، والذين صدقوا به وآمنوا بأنه رسول من عند الله وهم أتباعه المؤمنون،

---

(١) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين الأرمي (٢٥/ ٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٥١).
(٣) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٢٦).
(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٢).

وأيقنوا أن القرآن كلام الله تبيان كل شيء وخير وسعادة للبشرية جمعاء، فأولئك هم الذين اتقوا الله، وتجنبوا الشرك، وتبرؤوا من الأصنام والأوثان[١].

وثواب هؤلاء ما قال تعالى: **(لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ)**، ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ أي لهم ما يطلبون عند ربهم في الجنان، من رفع الدرجات، ودفع المضرّات، وتكفير السيئات، فضلاً عن أن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك جزاء الذين أحسنوا في أعمالهم[٢].

وعلة هذا الجزاء: وعدهم الله بما سبق **﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** ليكفر عنهم سيء ما عملوا، ويجزيهم أجرهم كاملا بالمحاسن من أعمالهم، ولا يجزيهم بالمساوئ. وإذا غفر لهم ما هو الأسوأ من أعمالهم، غفر لهم ما دونه بطريق أولى. والحسن الذي يعملونه هو الأحسن عند الله تعالى، وقوله: **﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه[٣].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن النبي ﷺ الذي جاء بالصدق والحق، وأتباعه الذين صدقوا به كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، هم المتقون الله حق التقوى، الذي وحّدوه فلم يشركوا به شيئا، وتجنبوا عذابه وعقابه ومعاصيه[٤].

٢. أثبت الله تعالى للذي جاء بالصدق وصدق به أربعة أحكام: الأول- أنهم هم المتقون، كما تقدم. الثاني- أن لهم ما يشاءون عند ربهم من الكرامة والنعيم في الجنة، ذلك جزاء المحسنين وهو الثناء في الدنيا، والثواب في الآخرة. وهذا الوعد يدخل فيه كل ما يرغب الإنسان فيه، ويدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه. الثالث- أن الله يكرمهم ولا يؤاخذهم بسيئاتهم، ويثيبهم على الطاعات في الدنيا بأحسن أعمالهم وهي الجنة. وهذا يدل

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٠)، حاشية الشهاب علي أنوار التنزيل، للبيضاوي (٧/ ٣٣٨).
(٢) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٧٧)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب (١٢/ ١١٥٣)، تفسير المراغي (٢٤/ ٥).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٣)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣١)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان (١١٦/١٢).
(٤) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني (٤/ ١٤٩٧)، زاد المسير، لابن الجوزي (١٨/٤).

على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه. الرابع- بدد الله كل تخويفات المبطلين التي يرددونها ويشيعونها كثيرا، بإثبات كفايته عباده وحمايته لهم من كل سوء أو شر، سواء أكان مصدره الجن أو الإنس الأشرار، أو الأصنام في زعم عبدتها مع أنها لا تضر ولا تنفع. قال إبراهيم عليه السلام فيما حكى القرآن عنه: **﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً﴾** [الأنعام: ٨١].[١]

المطلب الثالث: الهداية من عند الله وحده

تصور الآيات حقيقة المعركة بين الداعية إلى الحق وكل ما في الأرض من قوى مضادة، كما تصور الثقة واليقين والطمأنينة في القلب المؤمن، بعد وزن هذه القوى بميزانها الصحيح، إنها قضية بسيطة واضحة، لا تحتاج إلى جدل ولا كد ذهن.. إنه الله وحين يكون هذا هو الموقف لا يبقى هنالك شك ولا يكون هناك اشتباه.

وإرادة الله هي النافذة ومشيئته هي الغالبة، وهو الذي يقضي في العباد قضاءه في ذوات أنفسهم، وفي حركات قلوبهم ومشاعرهم وهو يعلم من يستحق الضلالة فيضله، ومن يستحق الهدى فيهديه، فإذا قضى بقضائه هكذا أو هكذا فلا مبدل لما يشاء، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقامٍ﴾**. [الزمر: ٣٧ – ٣٨]

أولاً: المناسبة

لما ذكر ﷻ أنه يؤتي المؤمنين ما يشاءون في الجنة، ويكفر سيئاتهم.. أردف ذلك ببيان أنه يكفيهم في الدنيا ما أهمّهم، ولا يضرهم ما يخوّفونهم به من غضب الأوثان والأصنام، فإن الأمور كلها بيده تعالى، فمن يضلله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضلّ له، وهو ذو العزّة المنتقم الجبّار[٢].

---

(١) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٨/ ٢٨٩)، روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٢٦٠).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين (٢٥/ ٦).

ثانياً: أسباب النزول

أخرج عبد الرزاق عن معمر: قال لي رجل: قالوا للنبي _عليه الصلاة والسلام_: لتكفّنّ عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبّلنّك، فنزلت: وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ[١].

ثالثاً: المعاني اللغوية

١-**بِكافٍ عَبْدَهُ:** أي يكفي عبده النبي ﷺ وعيد المشركين وكيدهم[٢].

٢-**وَيُخَوِّفُونَكَ:** الخطاب للنبي ﷺ، والتخويف من قريش[٣].

٣-**بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ:** أي الأصنام، بأن تقتله أو تخبله[٤].

٤-**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ:** تركه في الضلال والاعتقاد بما لا ينفع ولا يضر[٥].

٥-**فَما لَهُ مِنْ هادٍ:** يهديهم إلى الرشاد[٦].

٦-**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ:** يوفقه للإيمان[٧].

٧-**بِعَزِيزٍ:** غالب منيع قوي قاهر[٨].

٨-**ذِي انْتِقامٍ:** أي ينتقم ممن عاداه وعادى رسوله ﷺ[٩].

رابعاً: البلاغة

١-**يُضْلِلِ وهادٍ، ويَهْدِ ومُضِلٍّ:** بينهما طباق[١٠].

---

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٣٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٧/ ٢٢٩).
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٨).
(٣) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي (٣/ ٥٠٥)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٥٥).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٨٢).
(٥) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٣).
(٦) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٦٣).
(٧) تفسير المراغي (١٥/ ٩٨).
(٨) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ٩٠).
(٩) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٨٧).
(١٠) التفسير المنير، للزحيلي (٢٤/ ٥).

٢-**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ؟** استفهام إنكار للنفي، مبالغة في الإثبات، والعبد: رسول الله ﷺ، ويحتمل إرادة الجنس، وفسر بالأنبياء. وهكذا كل استفهام إنكاري مثل: **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾** [الشرح: ١]، **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾** [يس: ٦٠] دخل على نفي، يفيد معنى التقرير والتثبيت بالدليل، إذ نفي النفي إثبات[١].

خامساً: التفسير الإجمالي

ذكر ﷻ أنه يكفي المؤمنين في الدنيا ما أهمهم ويمنع عنهم ما يخوفونهم به، فقال: **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾**، أي أن الله سبحانه يكفي من عبده وتوكّل عليه، فيدفع عنه الويلات والمصائب، ويعطيه جميع المرغوبات، كقوله: **﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾** [البقرة: ١٣٧]، وعبر بلفظ الاستفهام لإنكار النفي، مبالغة في الإثبات، والمراد تقرير ذلك في النفوس، والإشارة إلى كفايته تعالى على أبلغ وجه وأظهره بحيث لا ينكره أحد، لأنه ثبت أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، قادر على كل الممكنات، غني عن كل الحاجات، فهو تعالى عالم بحاجات العباد، وقادر على توفيرها، وهو ليس بخيلاً ولا محتاجاً حتى يمنعه بخله وحاجته عن إعطاء عبده ما يريد[٢].

ثم أبان الله تعالى مدى قدرته وسلطانه ليبطل توعد المشركين ويبين جهلهم، فقال: **﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾** أي: من حق عليه القضاء بضلالة، لسوئه وفسقه وعصيانه، فما له من هاد يهديه إلى الرشد ويخرجه من الضلالة، ومن يوفقه الله إلى السعادة والإيمان لاستعداده لهما، والمراد أن خلق المهتدين والضالين بيد الله، فهو الفاعل، وليس لمن عداه أي تأثير في ذلك، فلا راد لفضله، ولا مانع لمراده، لذا هدد كفار قريش قائلا: **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾**؟ أي أليس الله بغالب لكل شيء قاهر له، ينتقم من عصاته بعذاب شديد؟ فهو منيع الجناب، لا يضام من استند إلى جنابه، ولجأ إلى بابه، فإنه القوي الذي لا أقوى منه، ولا أشد انتقاماً منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ[٣].

وبعد أن ذكر الله تعالى المقدمة وهي كفاية العباد، رتب عليها النتيجة المطلوبة فقال: **﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾**، أي: ويخوفك أيها الرسول المشركون ويتوعدونك بأصنامهم

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٨/ ٥٧٢)، الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (٢٧/ ٢٠).
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٥٥).
(٣) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٥)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣٣).

وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا، فلا تخف مما يخوفونك به من آلهتهم وجنودهم، فإن الله يحميك مما يضرك، وليس عند آلهتهم نفع ولا ضرر. [1].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. قوله تعالى: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾، يحتج بها على إثبات الرسالة؛ لأنه بعثه وحده، لا عون معه، ولا نصر له من البشر، وكان يقرع أسماعهم بهذه الآيات التي يكرهون سماعها، ثم لم يقدروا على إهلاكه؛ بل عصمه من كيدهم ومكرهم، وفي ذلك لطف من اللَّه عظيم، ودلالة على إثبات الرسالة[٢].

٢. والآية دليل على أن الله يحمي نبيه ﷺ من السوء، ويكفيه وأتباعه الدين والدنيا، إذ لما كان تعالى كافي عبده، كان التخويف بغيره عبثا باطلا[٣].

٣. قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ**﴾، ﴿**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ**﴾، دليل على خلق الأعمال وإرادة الكائنات من الله الذي ينتقم ممن عاداه أو عادى رسله. ودليل أيضا على أن من يضله الله بتركه في غيه وضلالته، فما له من هاد يهديه إلى الخير أبدا، ومن يهديه الله إلى الحق والصواب، فما له من مضل أبدا[٤].

---

(١) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٥)، تفسير المراغي (٢٤/ ٧).

(٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٨٣).

(٣) انظر: البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٥).

(٤) انظر: الانتصار للقرآن، للباقلاني (٢/ ٦٢٨).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر

من الآية (٣٨-٤٥)

وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: الأدلة والبراهين الإلهية على تزييف طريقة عبدة الأوثان

المطلب الثاني: عجز الأصنام عن دفع السوء والضر عن عبادها

المطلب الثالث: تسلية الرسول ﷺ

المطلب الرابع: أقسام الوفاة

المطلب الخامس: شبهة المشركين في عبادتهم الأوثان والشفاعة بهم

المطلب السادس: معنى الشفاعة وأقسامها

المطلب الأول: الأدلة والبراهين الإلهية على تزييف طريقة عبدة الأوثان

كان كفار مكة يقرون- حين يسألون- أن الله هو خالق السماوات والأرض، وما تملك فطرة أن تقول غير هذا، وما يستطيع عقل أن يعلل نشأة السماوات والأرض إلا بوجود إرادة عليا، فهو يأخذهم ويأخذ العقلاء جميعاً بهذه الحقيقة الفطرية الواضحة، وإذا كان الله هو خالق السماوات والأرض، فهل يملك أحدٌ أو شيء في هذه السماوات والأرض أن يكشف ضراً أراد الله أن يصيب به عبداً من عباده؟ أم يملك أحدٌ أو شيء في هذه السماوات والأرض أن يحبس رحمة أراد الله أن تنال عبداً من عباده؟ متى استقرت هذه الحقيقة في قلب مؤمن؛ فقد انتهى الأمر بالنسبة إليه، وقد انقطع الجدل، وانقطع الخوف وانقطع الأمل، إلا في جناب الله سبحانه، وهذا ما بينه سبحانه في قوله تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. [الزمر: ٣٨].**

أولاً: المناسبة

بعد أن أوضح الله تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين، عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام، معتمدا على أصلين:

الأول: أن هؤلاء المشركين مُقِرّون بوجود الإله الخالق القادر العالم.

والثاني: أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر[1].

ثانياً: أسباب النزول

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ: روي عن مقاتل أن النبي ﷺ سألهم، فسكتوا، فنزل ذلك[2].

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥١١)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٥).
(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٣).

ثالثاً: المعاني اللغوية

١-**وَلَئِنْ:** اللام لام القسم[١].

٢-**وتَدْعُونَ:** تعبدون[٢].

٣-**مِنْ دُونِ اللَّهِ:** الأصنام[٣].

٤-**الضر:** الشدة والبلاء[٤].

٥-**الرحمة:** النعمة والرخاء[٥].

٦-**حَسْبِيَ اللَّهُ:** كافياً في إصابة الخير ودفع الضر، وتقرر بهذا أن الله هو القادر الذي لا مانع لما يريده من خير أو شر[٦].

٧-**عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ:** يثق الواثقون لعلمهم بأن الكل منه تعالى[٧].

رابعاً: البلاغة

١-**كاشِفاتُ ومُمْسِكاتُ:** لما يصفونها به من الأنوثة، تنبيها على ضعفها[٨].

---

(١) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (٢٤/ ١٨٥).
(٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ١٩٢).
(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٨٧).
(٤) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/ ٣٨٥).
(٥) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣٣).
(٦) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٢٩).
(٧) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٨٣).
(٨) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٥).

خامساً: الإعراب ومعانيه

كاشِفاتُ.. مُمْسِكاتُ: كل منهما خبر المبتدأ، وأعربت بالتنوين وبتركه، فمن نوّن نصب (ضرّه) و(رحمته) باسم الفاعل، ومن ترك التنوين جرهما بالإضافة، وهي لا تفيد هنا تعريفا، لأنها في نية الانفصال، لأن اسم الفاعل ليس بمعنى الماضي، والأصل هو التنوين، وإنما يحذف للتخفيف(١).

سادساً: التفسير الإجمالي

أقام الله تعالى الدليل على وحدانيته بإقرار المشركين أنفسهم بذلك، فقال: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ أي إذا سألت المشركين عن خالق السموات والأرض، اعترفوا بأنه هو الله سبحانه، مع عبادتهم للأوثان. وإذا اعترفوا، فكيف قبلت عقولهم عبادة غير الخالق، وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة؟ مع أن هذه المعبودات لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، كما قال موبخاً لهم: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّه أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ**﴾ أي إذا أقررتم بأن الله تعالى خلق الأشياء كلها، فأخبروني عن آلهتكم هذه، هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الشدة والضرر، أو هل تستطيع أن تمنع عني ما أراده الله لي من الخير والنعمة والرخاء؟ وإذا كانت في الواقع لا تملك شيئاً ولا قدرة لها على شيء، فكيف تجوز عبادتها؟! وأنث قوله: هُنَّ كاشِفاتُ وهُنَّ مُمْسِكاتُ وهي الأصنام للتنبيه على كمال ضعفها وتحقيرها وتعجيزها، فإن الأنوثة مظنة الضعف، ولأنهم كانوا يصفونها بالتأنيث ويسمونها: اللات والعزى ومناة(٢).

قل أيها النبي: الله كافيني أو كافيّ في جميع أموري من جلب النفع ودفع الضر، فلا أخاف تلك الأصنام التي تخوفونني بها، وإنما أخاف الله الذي عليه لا على غيره يتوكل المؤمنون، ويعتمد المعتمدون. وذلك كما قال هود عليه السلام: ﴿**إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ**

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش (٨/ ٤٢٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٥).

لا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤- ٥٦][١].

سابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. ما أغبى المشركين وأجهلهم وأحمقهم وأسخفهم!! إنهم مع عبادتهم الأوثان مقرّون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق القادر العالم الحكيم الرحيم، فكيف يعبدون سواه؟ وكيف يُخَوفون رسول الله ﷺ بآلهتهم الخرقاء العاجزة التي هي مخلوقة لله تعالى، وهو رسول من عند الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض؟! وبعد اعترافهم بهذا، ألا يدركون أن هذه الأصنام جمادات صماء، لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر؟ والخلاصة: إنه تعالى انتزع منهم الإقرار بأن خالق العالم هو الله، ثم سألهم أو استخبرهم عن أصنامهم: هل تدفع شراً وتجلب خيراً؟ لبيان عدم صلاحيتها للألوهية والربوبية[٢].
٢. إن أراد الله عبده بشدة وبلاء، فلا تستطيع هذه الأصنام دفعه ورفعه وإزالته، وإذا أراد الله إمداد عبده بنعمة ورخاء، فلا تتمكن من حجب رحمته وإمساكها ومنعها، وترك الجواب لدلالة الكلام عليه، يعني فسيقولون: لا تكشف ولا تمسك[٣].
٣. المؤمن لا يلتفت إلى تخويف المشركين بالأصنام الصماء كما في الآية السابقة: ﴿**وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾، ويعلن أنه معتمد على الله، متوكل عليه، ويجب أن يعتمد عليه المعتمدون[٤].

المطلب الثاني: عجز الأصنام عن دفع السوء والضر عن عبّادها

إنها الطمأنينة التي لا تخاف، والثقة التي لا تقلق، واليقين الذي لا يتزعزع، والمضي في الطريق على ثقة بنهاية الطريق، يا قوم اعملوا على طريقكم وعلى حالكم، إني ماض في طريقي لا أميل ولا أخاف ولا أقلق، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا، ويحل عليه عذاب

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣٣).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٢/ ١٣٠).
(٣) انظر: روح البيان (٨/ ١١١).
(٤) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي، (٥/ ٤٣)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٢٥).

مقيم في الآخرة، وهذا ما بينه سبحانه في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، [الزمر: ٣٩-٤٠].**

أولاً: المعاني اللغوية

١-**عَلى مَكانَتِكُمْ:** على حالكم، وهو اسم للمكان أستعير للحال[١].

٢-**إِنِّي عامِلٌ:** على مكانتي، أي على حالتي، فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد[٢].

٣-**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ:** خزي أعدائه دليل غلبته، وقد أخزاهم الله يوم بدر[٣].

٤-**وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ:** عذاب دائم، وهو عذاب النار[٤].

ثانياً: التفسير الإجمالي

هدد الله المشركين وأوعدهم بقوله: **﴿قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾** أي قل أيها النبي: يا قومي، اعملوا ما شئتم، اعملوا على حالتكم وطريقتكم التي أنتم عليها من عداوة رسالتي، واعتداد بالقوة والشدة، واجتهدوا في أنواع المكر، فإني على حالتي ومنهجي وطريقتي التي أنا عليها في الدعوة إلى توحيد الله ونشر دينه بين الناس، فسوف تعلمون وبال ذلك، ومن سيأتيه عذاب يهينه ويذله في الدنيا بعد افتخاره واستكباره، فيظهر عندئذ أنه المبطل وخصمه المحقّ، ويحل عليه عذاب دائم مستمر لا محيد له عنه يوم القيامة، وهو عذاب النار[٥].

---

(١) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣٠).
(٢) التفسير البسيط، للواحدي (٨/ ٤٥٢).
(٣) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٥٦)، مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٨٢).
(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٤).
(٥) انظر: روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٢٦٢)، التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٢٢٧).

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. يصر المؤمن بالبقاء على منهجه وطريقته في عبادة الله وحده ويهزأ بكل من ضل عن هذا المنهج، وسوف تنجلي الحقائق، وتتبين ما تتمخض عنه الأحداث والأيام، ويدرك الكفار أنهم مهزومون، واقعون في عذاب مهين مذل في الدنيا، وعذاب شديد دائم في الآخرة[١].

المطلب الثالث: تسلية الرسول ﷺ

الحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض ويلتقي عليه نظام البشرية في هذا الكتاب، ونظام الكون كله في تناسق، هذا الحق نزل للناس ليهتدوا به ويعيشوا معه ويقوموا عليه، والنبي ﷺ مبلغ وهم بعد ذلك وما يشاءون لأنفسهم من هدى أو ضلال، ومن نعيم أو عذاب فكل مورد نفسه ما يشاء وما أنت بمسيطر عليهم ولا بمسؤول عنهم إنما الوكيل عليهم هو الله، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾**، [الزمر: ٤١].

أولاً: المناسبة

بعد بيان أدلة وحدانية الله وقدرته، وتوضيح فساد مذاهب المشركين بالأدلة والبراهين، واتباعه بالوعد والوعيد، سرّى الله عن قلب نبيه ﷺ ضيقه وانزعاجه لإصرارهم على الكفر، وأزال عنه الخوف، فأعلمه بإنزال القرآن العظيم عليه بالحق لنفع الناس واهتدائهم به[٢].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٥٤).

(٢) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥١٥).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ:** نزلنا عليك القرآن لأجل الناس، ليحقق مصالحهم الدنيوية والأخروية[١].

٢-**بِالْحَقِّ:** متعلق بـ أنزلنا، أي: ملتبساً بالحق ملازماً له[٢].

٣-**فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ:** أي فاهتداؤه نفع به نفسه.

٤-**فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها:** على نفسه، أي فإن وباله لا يتخطاها[٣].

٥-**وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ:** أي بموكّل عليهم لتجبرهم على الهدى، بل عليك البلاغ فحسب[٤].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

يخاطب الله رسوله محمداً ﷺ بقوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾** أي: إنا نحن رب العزة وإله الكون نزّلنا عليك يا محمد القرآن العظيم، لأجل الناس، أي والجن، ولبيان ما كلّفوا به، وإنذارهم به، أنزله ربك مقروناً مصحوباً بالحق ملتبسا به، وهو دين الإسلام[٥]. قال الزمخشري: "لِلنَّاسِ لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه، ليبشّروا وينذروا، فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية، ولا حاجة لي إلى ذلك فأنا الغني، فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه، ومن اختار الضلالة فقد ضرها"[٦].

قال تعالى: **﴿فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾** أي: فمن عرف طريق الحق وسلكها، فاهتداؤه لنفسه، ويعود نفع ذلك إلى نفسه، ومن حاد عن

---

(١) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٨٣).
(٢) تفسير الجلالين (ص: ٦١٢).
(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٤)
(٤) انظر: التفسير المظهري (٨/ ٢١٧).
(٥) انظر: البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٦)
(٦) الكشاف (٤/ ١٣٠).

طريق الحق، فضلاله على نفسه، ويرجع وبال ذلك على نفسه، وما أنت أيها الرسول بموكل أن يهتدوا، ولا بمكلف في حملهم على الهداية، بل عليك البلاغ، وقد فعلت، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [هود: ١٢] وقوله سبحانه: ﴿**فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسابُ**﴾ [الرعد: ٤٠] وقوله ﷻ : ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢] [(١)].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. سلّى الله نبيه عما كان يعظم عليه ويحزنه من عدم إيمان قومه، وأخبره أنه أنزل عليه النعمة العظمى، وهو القرآن المجيد مصحوبا بالحق، وهو دين الإسلام، لينتفع به الناس، ويحققوا حاجاتهم[(٢)].
٢. من اهتدى، فثواب هدايته إنما هو له، ومن ضل عن الحق، فعقاب ضلاله إنما هو عليه، وليس النبي ﷺ بموكل عليهم ولا ذا سلطان قاهر، حتى يجبرهم على الإيمان[(٣)].

المطلب الرابع: أقسام الوفاة

الله ﷻ يستوفي الآجال للأنفس التي تموت، وهو يتوفاها كذلك في منامها- وإن لم تمت بعد- ولكنها في النوم متوفاة إلى حين، فالتي حان أجلها يمسكها فلا تستيقظ، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها فتصحو، إلى أن يحل أجلها المسمى، فالأنفس في قبضته دائما في صحوها ونومها، وإنهم إن يهتدوا فلأنفسهم وإن يضلوا فعليها. وإنهم محاسبون إذن وليسوا بمتروكين.. فماذا يرجون إذن للفكاك والخلاص؟ وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، [الزمر: ٤٢].

أولاً: المناسبة

بعد أن بين الله ﷻ أول مظاهر قدرته بإنزال القرآن العظيم، أتبعه بمظهرين آخرين للقدرة

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٧).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٥)، تفسير المراغي (٢٤/ ١٠).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠/ ٢٣٠)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ١٤٢).

هما قبضه الأرواح بانتهاء آجالها، وكونه مالك الشفاعة[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ**: يقبضها عند انتهاء آجالها[٢].

٢-**وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها**: أي ويتوفى غير الميتة وقت النوم، وهي التي لم يحضر أجلها، يتوفاها في منامها[٣].

٣-**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ**: ولا يردها إلى البدن الذي خرجت منه[٤].

٤-**وَيُرْسِلُ الْأُخْرى**: أي أجساد الأرواح النائمة[٥].

٥-**إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى**: أي إلى وقت موتها[٦].

٦-**لَآياتٍ**: دلالات على كمال قدرة الله وحكمته[٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

يذكر الله تعالى نوعاً آخر من أنواع قدرته وتصرفه في الوجود، بعد إنزال القرآن، فقال: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها**﴾ أي إن الله هو الذي يقبض الأنفس أو الأرواح حين انقضاء آجالها بالموت، الوفاة الكبرى، بما يرسل من الملائكة الذين يقبضونها من الأبدان، ويقطع تعلقها بالأجساد، وكذلك يتوفى الأنفس التي لم يأت أجلها الوفاة الصغرى عند المنام، تشبيها للنائمين بالموتى، حيث يمنعهم من التمييز والتصرف كالموتى بالفعل، مع بقاء الأرواح في أبدانهم. ﴿**فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ**

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٢٢).
(٢) الكشف والبيان، للثعلبي (٥/ ٢٩٩).
(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٣/ ٢٧).
(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٤).
(٥) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٢٨).
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٦٠).
(٧) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٧٧).

فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يمسك الأنفس والأرواح التي قضى عليها الموت الحقيقي، أي لا يردها إلى الجسد الذي كانت فيه، ويرسل النفس النائمة إلى الأجساد حين اليقظة، بأن يعيد إليها إحساسها، إلى أجل مسمى، هو وقت الموت(١).

إن في ذلك المذكور من التوفي التام والإمساك لنفوس، والإرسال لنفوس أخرى لعلامات عجيبة دالة على كمال قدرة الله الباهرة، وحكمته البديعة. ونظير الآية قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾** [الأنعام: ٦٠- ٦١] فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى، وفي هذه الآية هنا ذكر الكبرى ثم الصغرى (٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. من مظاهر قدرة الله تعالى العظيمة أنه يقبض الأنفس والأرواح عند انتهاء آجالها، ويقبض الأنفس عن التصرف في الأجسام، ويمسك أرواح الموتى في الملأ الأعلى، ويرد الأنفس إلى الأجساد بعد النوم، فيطلقها بالتصرف إلى أجل موتها. قال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد، أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها(٣).
٢. الأظهر أن النفس والروح شيء واحد كما تقدم، لما دلت عليه الآثار الصحاح، منها حديث مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شقّ بصره فأغمضه، ثم قال: **(إن الروح إذا قبض تبعه البصر)**(٤)، وحديث مسلم أيضا عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: **(ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره، فذلك حين يتبع بصره نفسه)**(٥).
٣. قال الرازي: "النفس الإنسانية: عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوئه في جميع الأعضاء، وهو الحياة. ففي وقت الموت: ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وباطنه،

---

(١) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٧٥)، التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد الناصري (٥/ ٣٥٩).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٠١)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٥٤).
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٨).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ٦٣٤)، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت حديث رقم: ٩٢٠.
(٥) المرجع السابق، حديث رقم: ٩٢١.

وذلك هو الموت. وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوئه عن ظاهر البدن دون باطنه، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد، إلا أن الموت انقطاع تام كامل، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه"[١].

٤. نظراً لشبه النوم بالموت في بعض الأوجه، إذ النوم موت أصغر، والموت نوم أكبر، يسنّ عند النوم الدعاء التالي، ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[٢]، وعن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: (اللهم باسمك أموت وأحيا) وإذا استيقظ قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[٣].[٤]

المطلب الخامس: شبهة المشركين في عبادتهم الأوثان والشفاعة بهم

سؤال للتهكم والسخرية من زعمهم أنهم يعبدون تماثيل ليقربوهم إلى الله زلفى!، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ**﴾، [الزمر: ٤٣].

أولاً: المناسبة

بعد أن بين الله ﷻ بعض مظاهر قدرته، ومنها إنزال القرآن العظيم، أتبعه بذكر بعض قبائح المشركين وعيوبهم واتخاذهم الأصنام شفعاء من دون الله[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٦/ ٤٥٦).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٧١)، كتاب الدعوات، باب التعوذ القراءة عند المنام، ح: ٦٣٢٠.

(٣) صحيح البخاري (٨/ ٦٩)، كتاب الدعوات، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، ح: ٦٣١٤.

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٢٦٣)، التفسير المظهري (٨/ ٢١٨).

(٥) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٢١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**أَم اتَّخَذُوا:** بل اتخذت قريش[١].

٢-**مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ:** أي اتخذوا الأصنام آلهة عند الله بزعمهم، تشفع لهم عند الله[٢]

٣-**قُلْ أَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً:** قل لهم: أيشفعون، ولو لم يملكوا الشفاعة وغيرها؟[٣]

٤-**وَلا يَعْقِلُونَ:** أنكم تعبدونهم، ولا يعقلون غير ذلك[٤].

رابعاً: البلاغة

١-**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ:** استفهام إنكار، وتبكيت[٥].

٢-**الْغَيْبِ والشَّهادَةِ:** بينهما طباق، وكذا بين اهْتَدى وضَلَّ.

٣-**وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ:** مقابلة بين الله تعالى والأصنام، وبين الاستبشار والاشمئزاز[٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

ذم الله تعالى اتخاذ المشركين شفعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان، وهي لا تملك شيئا من الأمر، إذ هي جمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر، فقال: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاءَ أي بل هل اتخذوا من دون الله آلهة شفعاء تشفع لهم عند الله؟ أي لا ينبغي لهم ذلك، وردّ الله عليهم بقوله: قُلْ: أَوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً

---

(١) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣١).
(٢) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، للشيخ علوان (٢/ ٢٤٩).
(٣) البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٨٤).
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٧٩).
(٥) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (١٥/ ٥١).
(٦) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٢).

وَلا يَعْقِلُونَ أي قل لهم أيها النبي وأخبرهم: كيف تتخذون تلك الأصنام شفعاء لكم، وهم لا يملكون شفاعة ولا غيرها، ولا يعقلون شيئا من شفاعة أو غيرها، ولا يدركون أنكم تعبدونهم؟[1]

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. عدم تفكر الكفار على نحو صحيح، بل اتخذوا الأصنام شفعاء، مع أنها لا تملك شيئا من الشفاعة ولا تعقل، لأنها جمادات[2].

المطلب السادس: معنى الشفاعة وأقسامها

تقرير جازم بأن لله الشفاعة جميعا؛ فهو الذي يأذن بها لمن يشاء على يد من شاء. فهل مما يؤهلهم للشفاعة أن يتخذوا من دون الله شركاء؟! فليس هنالك خارج على إرادته في هذا الملك..فلا مهرب ولا مفر من الرجوع إليه وحده في نهاية المطاف.. وفي هذا الموقف الذي يتفرد فيه الله سبحانه بالملك والقهر يعرض كيف هم ينفرون من كلمة التوحيد ويهشون لكلمة الشرك، الذي ينكره كل ما حولهم في الوجود، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**، [الزمر: ٤٤-٤٥].

أولاً: أسباب النزول

وَإِذا ذُكِرَ اللَّـهُ: عن مجاهد أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكره الآلهة. أي قوله تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى..﴾** الآيات من سورة النجم [١٩- ٢٣] [3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٦)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٢٦).
(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٩٩)، التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٢٢٩).
(٣) تفسير مجاهد (ص: ٥٧٩).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**: أي هو مختص بها ومالك الشفاعة كلها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يستقل بها أحد[١].

٢-**لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**: مالك الملك كله، لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه[٢].

٣-**وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ**: أي دون آلهتهم[٣].

٤-**اشْمَأَزَّتْ**: نفرت وانقبضت[٤]، والاشمئزاز: أن يمتلئ غماً، فيحدث انقباض في القلب، وضيق في النفس، يظهر أثره في الوجه[٥].

٥-**وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**: أي الأصنام[٦].

٦-**يَسْتَبْشِرُونَ**: الاستبشار: امتلاء القلب سرورا، حتى تنبسط له بشرة الوجه. ويستبشرون هنا لفرط افتتانهم بالأصنام ونسيانهم حق الله تعالى[٧].

ثالثاً: البلاغة

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ ذكر الشفاعة، وهي مفرد بقوله **(جَمِيعًا)**، الدالة على الجمع، لكونها مصدراً، والمصدر يدل على الجمع، كما يدل على الواحد، فحمل جميع على المعنى، والحمل على المعنى كثير في كلام العرب[٨].

---

(١) تفسير الجلالين (ص: ٦١٢).
(٢) التفسير المظهري (٨/ ٢١٩).
(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٣٥٦).
(٤) تفسير المنار، لرشيد رضا (٩/ ٣٥١).
(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٤٩).
(٦) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٥٧)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٥٩).
(٧) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٨).
(٨) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٨٥)، الموسوعة القرآنية (٤/ ٣٨٤).

رابعاً: التفسير الإجمالي

يُعْلِمُ الله تعالى بصفة جازمة عن ملكه بنفسه جميع أنواع الشفاعات قائلا: قُلْ: لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً، لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أي إن الله تعالى هو مالك جميع أنواع الشفاعة، وليس لأحد منها شيء، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن ارتضاه وأذن له، كما قال: **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة: ٢٥٥] وقال: **﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى﴾** [الأنبياء:٢٨]، والسبب أن الله تعالى هو مالك السموات والأرض، وهو المتصرف في جميع شؤونها، وإليه مصيركم بعد البعث. وعليه، تجب العبادة لمالك النفع والضر في الدنيا، ومالك الجزاء والحساب في الآخرة على جميع الأعمال. وفي هذا تهديد ووعيد بالاعتماد على من دون الله في أي شيء[١].ثم ذكر الله تعالى بعض قبائح المشركين وغرائبهم، فقال: **﴿وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾**، أي، إن من سيئات المشركين الكبرى أنه إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، انقبضوا ونفروا واغتاظوا، لأنهم لا يؤمنون بالله ولا بالبعث بعد الموت، وإذا ذكر الذين من دونه، أي الأصنام والأنداد، أو الآلهة المزعومة، كاللات والعزّى ومناة، كما ورد في سورة النجم، إذا هم يفرحون ويسرّون. ومدار المعنى على قوله: وَحْدَهُ أي إذا أفرد الله بالذكر، ولم يذكر معه آلهتهم، اشمأزوا، أي نفروا وانقبضوا، وإذا ذكرت آلهتهم مع الله سروا وفرحوا[٢].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. الله تعالى هو مالك الشفاعة كلها، ومالك السموات والأرض، وإليه مصير الخلائق وحسابهم يوم البعث والمعاد[٣].
٢. تميز المشركون بالجهل والحماقة؛ لأن ذكر الله أساس السعادة وعنوان الخير، وأما ذكر الأصنام وهي الجمادات، فهو رأس الجهالة والحماقة. قال الزمخشري: "ولقد تقابل الاستبشار

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٠٢)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣٥).
(٢) انظر: التفسير الميسر، لمجموعة من الأساتذة (١/ ٤٦٣)، صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٧٦).
(٣) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٢٢٩).

والاشمئزاز، إذ كل واحد منهما غاية في بابه ، لان الاستبشار : أن يمتلئ قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل . والاشمئزاز : أن يمتلئ غماً وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه .[1]

[1] - الكشاف (١٣٢/٤).

المبحث الثالث:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(٤٦-٥٢)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: دعاء الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا

المطلب الثاني: لو ملك المشركون أموال الدنيا لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة

المطلب الثالث: جحود المشركين وسوء عاقبتهم يوم القيامة

المطلب الرابع: الرزق وتصريف الأمور بيد الله

المطلب الأول: دعاء الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا

استخدم القرآن الكريم أسلوباً متميزاً في عرض أسماء الله وصفاته، كي يعلم عباده كيف يدعونه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [الزمر: ٤٦].

أولاً: المناسبة

بعد بيان الله ﷻ لنبيه مظهرين من مظاهر قدرته ﷻ ، هما: قبضه الأرواح بانتهاء آجالها، وكونه مالك الشفاعة، أردف ذلك بذكر الدعاء العظيم المتضمن وصف الله بالقدرة التامة[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ:** مبدئها ومبدعها[٢].

ثالثاً: البلاغة

١-قوله: ﴿**فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**﴾ دليل على صفة الله بالقدرة التامة.

٢-وقوله: ﴿**أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ**﴾ دليل على وصف الله بالعلم الكامل، وإنما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم، لأن العلم بكونه تعالى قادراً متقدم على العلم بكونه عالما[٣].

٣-﴿**عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ**﴾ يدل على كمال العلم فلا جرم لزم من مجموعهما أن يكون قوله حقا، وأن يكون حكمه صدقا، وأن تكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والباطل[٤].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٣/ ٥٩).

(٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٠).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٢/ ٤٧٤).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٣/ ٢٨).

رابعاً: التفسير الإجمالي

بعد بيان مذمة المشركين وفساد عقولهم في حبهم للشرك ونفرتهم من التوحيد، أمر الله نبيه ﷺ بالالتجاء إليه والدعاء المنجي من لوثاتهم، فقال: **﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ عالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**، أي: ادع الله قائلا: يا الله خالق السموات والأرض، ويا عالم السر والعلانية، أنت تفصل بين عبادك، يوم المعاد، فتجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، حتى يظهر المحق من المبطل، وترتفع خلافاتهم التي كانت بينهم في الدنيا(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. الله تعالى مبدع السموات والأرض على غير مثال سبق، وعالم السر والعلانية، والحاكم الفصل بين العباد في خلافاتهم الدنيوية(٢).

٢. الإشارة إلى بيان ما ينبغي على المؤمن من التذلل، وابتغاء العفو والتفضل، وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل(٣).

المطلب الثاني: لو ملك المشركون أموال الدنيا لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة

شناعة أقوال المشركين تُشَوِف النفس إلى ما سيفعله الله بهم يوم القيامة، فأخبر سبحانه ﷻ أن لهم أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر وأشنعه، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** [الزمر: ٤٧ – ٤٨].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠١)، الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣٢)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (٤٥/٥).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٣٨٧)،

(٣) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٨٥).

أولاً: المناسبة

لما ذكر الله ﷻ بعض قبائح المشركين وعيوبهم واشمئزازهم من ذكر الله، أردف ذلك بإظهار أنواع من العقاب لم تكن في حساب المشركين، وبين أنها من آثار تلك السيئات التي اكتسبوها(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**وبدا لهم من الله:** وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعده لهم(٢).

٢-**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا:** من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم(٣).

٣-**وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ:** أحاط بهم جزاؤه، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله ﷺ في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم (٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

ذكر الله تعالى ثلاثة أشياء في وعيد هؤلاء المشركين، فقال:

١. **﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذابِ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾**، أي: ولو أن هؤلاء الكفار المشركين ملكوا كل ما في الأرض من الأموال والذخائر، وملكوا مثله معه أي منضماً إليه، لجعلوا الكل فدية لأنفسهم من ذلك العذاب الشديد يوم القيامة، جزاء ظلمهم، وهذا وعيد شديد وإقناط نهائي من الخلاص(٥).

٢. **﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾**، أي: وظهر لهم من أنواع العقاب والسخط والعذاب المعد لهم، ما لم يكن في حسابهم ولا خطر في بالهم. وهذا يقابل صفة الثواب في الجنة: **(فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**(٦). وهو مأخوذ من

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ٥٧٩).

(٢) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠٢).

(٣) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ٤١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٦/ ٤٥٨)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٦/ ٥٢٤).

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، (٤/ ١١٨)، حديث رقم: ٣٢٤٤.

الآية: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، [السجدة: ١٧].[١]

٣. ﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ أي: وظهر لهم جزاء وآثار تلك السيئات والمآثم التي اكتسبوها في الدنيا، وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا، من إنذار الرسول ﷺ الذي كان ينذرهم به[٢].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. لو ملك المكذبون المشركون جميع ما في الأرض من أموال وثروات لقدموه فداءً رخيصاً لافتداء أنفسهم من سوء عذاب يوم القيامة[٣].

٢. يفاجأ الكفار بأنواع من العقاب لم تخطر ببالهم، ولا جرى تقديرها في حسابهم[٤].

٣. يظهر للكفار يوم القيامة آثار المحارم والآثار والكفر والمعاصي، من ألوان العقاب، ويحيط بهم وينزل جزاء ما كانوا به يستهزئون في الدنيا من الإنذارات والبعث والعذاب والحساب الشديد[٥].

المطلب الثالث: جحود المشركين وسوء عاقبتهم يوم القيامة

يخبر سبحانه وتعالى عن عادة متوارثة عند المكذبين، أنهم لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقاً، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهلكوا، وجاءهم العذاب، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٤٩ – ٥١].**

---

(١) انظر: مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٨٥)، تفسير المراغي (٢٤/ ١٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٦٦). إرشاد العقل، لأبي السعود (٧/ ٢٥٨).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٢٣٠).

(٤) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٧٦).

(٥) انظر: بيان المعاني، لعبد القادر ملا حويش (٣/ ٥٤٧).

أولاً: المناسبة

بعد أن حكى الله تعالى بعض قبائح المشركين، أتبعه بحكاية نوع آخر من القبائح، وهو أنهم عند الوقوع في الضر الذي هو الفقر والمرض يفزعون إلى الله تعالى، وفي حال النعمة وهي السعة في المال أو العافية في النفس، يزعمون أن حصول ذلك بكسبهم وجهدهم وجدّهم، وهذا تناقض قبيح صارخ. والحقيقة أن ما أوتوه من النعمة فتنة واختبار ليعرف شكرهم أو كفرهم، وأما مقالتهم فهي قديمة قالها كثير قبلهم كقارون وغيره[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ**: بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدة في معيشته، وجهد وضيق[٢].

٢-**عَلى عِلْمٍ**: على علم مني بوجوه كسبه، أو علم من الله بأني له أهل ومستحق[٣].

٣-**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**: أي بل النعمة امتحان له، أيشكر أم يكفر[٤].

٤-**ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ**: بفائتين عذابنا.

ثالثاً: البلاغة

١-**أُوتِيتُهُ**: الضمير عائد على النعمة، وذكّره لأن المراد شيء من النعمة[٥].

٢-**فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا**: أي جزاء أعمالهم، وسماه سيئة، لأنه في مقابلة أعمالهم السيئة، رمزاً إلى أن جميع أعمالهم كذلك[٦].

---

(١) الموسوعة القرآنية، لإبراهيم الأبياري (١١/ ٩١).

(٢) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٢٦٢).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٥٢).

(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٥).

(٥) المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٥٣٦).

(٦) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٥).

رابعاً: التفسير الإجمالي

يخبر الله تعالى عن سوء طبع الإنسان وحاله، فيقول: **﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾**، أي: إذا أصاب الإنسان المشرك وغيره ضر من فقر أو مرض أو غيرهما، تضرع إلى الله ﷻ ، واستعان به لكشف الضر عنه، وإذا أعطاه الله نعمة من مال أو جاه أو غيرهما، بغى وطغى، وقال: إنما أعطيته على علم ومهارة مني بوجوه المكاسب، أو لما يعلم الله تعالى من استحقاقي وتأهلي له[1].

والحقيقة: ليس الإعطاء لما ذكرت، وليس الأمر كما زعمت، بل هو محنة لك، واختبار لحالك، وقد أنعمنا عليك بهذه النعمة لنختبرك فيما أنعمنا عليك، أتشكر أم تكفر؟ أتطيع أم تعصي؟ مع علمنا المتقدم بذلك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر، فلهذا يقولون ما يقولون، ويدّعون ما يدّعون[2].

ثم أوضح الله تعالى قدم مقالتهم وسبقهم بها، فقال: **﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**، أي: قد قال هذه المقالة أو الكلمة، وهي قولهم: **﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾** وزعم هذا الزعم، وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم، كقارون وغيره، فما صح قولهم، ولم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا، ولا نفعهم جمعهم المال الكثير، لذا قال تعالى: **﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾**، أي: فحلّ بهم جزاء سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوقبوا في الدنيا كالخسف بقارون وبداره الأرض، وسيعاقبون أشد العذاب في الآخرة. ونظير الآية قوله تعالى عن قارون: **﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً ۚ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾** [القصص: ٧٨]، وقوله سبحانه: **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾** [سبأ: ٣٥][3].

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٣٧)، تفسير المراغي (٢٤/ ١٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٦٦)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٠٥).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠٣)، زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٢٢).

ثم هدد الله تعالى وأوعد مشركي مكة بعقاب مماثل، فقال: ﴿**وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾، أي: والذين ظلموا من هؤلاء الموجودين من الكفار، ومنهم مشركو مكة، سيصيبهم أيضاً وبال كسبهم الأعمال المنكرة، كما أصاب من قبلهم، من القحط والقتل والأسر والقهر، وما هم بفائتين على الله، هرباً يوم القيامة، بل مرجعهم إليه، يصنع بهم ما يشاء من العقوبة(١).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن حال الإنسان قلق مضطرب، لا وفاء عنده، ولا ثبات لديه على المبدأ، فتراه عند الشدة يستجير بالله ويستغيث به لينجو من محنته، وعند النعمة يبغي ويطغى ويبطر ويزعم أن النعمة بجهده ومهارته واستحقاقه وأهليته لها(٢).

٢. الحق أن الثروة والغنى والفقر ليست ميزان قربى العبد من ربه، فقد يمنح الله المؤمن ويمنع الكافر، وقد يفعل العكس، لحكمة بالغة له في ذلك، والنعمة مع الكفر والمعصية استدراج وابتلاء واختبار، ليعرف كون العبد شاكراً أم جاحداً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن إعطاءهم المال اختبار(٣).

٣. لقد زعم كثير من الناس قديماً وحديثاً أن إعطاءهم المال لعلم ومهارة لديهم، وعلم من الله باستحقاقهم، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا، وأصابهم جزاء سيئات أعمالهم، وسيصيب الذين أشركوا من أمة النبي ﷺ وهم كل الأمم جزاء كسبهم في الدنيا بالجوع والقتل مثلا، وفي الآخرة بعذاب جهنم، وما هم فائتين الله ولا سابقيه(٤).

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٨٥)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٦٠).

(٢) انظر: التيسير في أحاديث التفسير، لمكي الناصري (٥/ ٣٤٧).

(٣) انظر: تفسير المراغي (٢٤/ ١٩).

(٤) توفيق الرحمن في دروس القرآن، لفيصل الحريملي (٣/ ٦٦١).

المطلب الرابع: الرزق وتصريف الأمور بيد الله

الشدّة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله دون كلّ من سواه؟ فيبسط لمن يشاء، وَيَقْدِرُ ذلك على من يشاء من عباده، وأن ذلك من حجج الله على عباده ليعتبروا به، ويتذكروا أنه لا رغبة ولا رهبة إلا إليه، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾، [الزمر: ٥٢].

أولاً: المناسبة

بعد أن بين الله ﷻ قبيحة المشركين الزاعمين أن حصول النعمة لهم إنما هو بكسبهم وجهدهم وجدّهم، أبان تعالى أن الله وحده مصدر الرزق، يوسعه لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، بدليل اختلاف الناس في سعة الرزق وضيقه، سواء من المؤمنين والكافرين، وليس جمع الثروة أو ضعفها بعقل الرجل وجهله، أو كياسته وخبرته وغباوته، وإنما بتوفيق الله وتيسيره[١].

ثانياً: البلاغة

١-**يَبْسُطُ وَيَقْدِرُ**: طباق[٢].

ثالثاً: المعاني اللغوية

١-**يبْسُطُ الرِّزْقَ**: يوسعه لِمَنْ يَشاءُ امتحانا[٣].

٢-**وَيَقْدِرُ**: يضيقه لمن يشاء ابتلاء[٤].

رابعاً: التفسير الإجمالي أو لم ير هؤلاء المشركون أن الله يوسع الرزق لمن يشاء توسعته له، ويقبضه لمن يشاء قبضه وتضييقه عليه، إن في ذلك لدلالات عظيمة وعلامات مؤثّرة لقوم يؤمنون بالله وحده وبسلطانه وبقدرته[٥].

---

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (ص: ٢٩٣).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢٠/ ١٦٥).

(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ٩٣).

(٤) التفسير المظهري (٨/ ٢٢١).

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠٥)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٠٩).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن الله تعالى وحده هو مصدر الرزق، يمنح منه ما يشاء، ويمنعه عمن يشاء، وفي ذلك عبرة للمؤمنين[١].

٢. خص المؤمن بالذكر، لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها، ويعلم أن سعة الرزق قد تكون استدراجا، وتقتيره رفعةً وإعظاماً[٢].

---

(١) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٨٧).

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٧٧).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات (٥٣-٧٥)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٥٣-٥٩)

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٠-٦٧)

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٨-٧٥)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٥٣-٥٩)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: دعوة الناس إلى عدم اليأس من رحمة الله

المطلب الثاني: التوبة إلى الله قبل فوات الأوان

المطلب الثالث: الحسرة قرينة المشرك يوم القيامة

المطلب الأول: دعوة الناس إلى عدم اليأس من رحمة الله

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت، وإنها الدعوة للأوبة؛ دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال؛ دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى بقوله: **﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].**

أولاً: المناسبة

بعد أن توعد الله تعالى الكافرين بشتى أنواع الوعيد، أردفه ببيان كمال رحمته وفضله وإحسانه في حق عباده المؤمنين، بغفران ذنوبهم إذا تابوا وأنابوا إليه وأخلصوا العمل له، لترغيب الكفار في الإيمان بالله تعالى وترك الضلال، وكثيراً ما تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف[١]. قال أبو حيان: "وهذه الآية: قُلْ: يا عِبادِيَ عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب، تمحو الذنب توبته"[٢].

ثانياً: أسباب النزول

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدا ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، أو تخبرنا أن لنا توبة- أو أن لما عملنا كفارة-؟ فنزلت: **﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ.. إلى قوله: وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾** [الفرقان: ٦٨- ٧٠] ونزل: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾** [الزمر: ٥٣].[٣]

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٣٣).

(٢) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢١١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله يا عبادي الذين أسرفوا (٦/ ١٢٥)، ح: ٤٨١٠، وأسباب النزول للواحدي (ص: ٣٣٥).

ثالثاً: المعاني اللغوية

١-**عِبادِيَ**: هذه الإضافة مخصوصة بالمؤمنين في عرف القرآن[١].

٢-**أَسْرَفُوا**: أي تجاوزوا الحد في أفعالهم، بالإسراف أو الإفراط في المعاصي[٢].

٣-**لا تَقْنَطُوا**: لا تيأسوا من مغفرته وتفضله[٣].

رابعاً: البلاغة

١-**(قُلْ يا عِبادِيَ)**: فيها إقباله تعالى على خلقه ونداؤه لهم، وإضافة عباد إليه للتشريف[٤].

٢-**(أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا)**: التفات من الخطاب إلى الغيبة، إذ الأصل: تسرفوا، ولا تقنطوا من رحمتي[٥].

٣-**(مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)**: إضافة الرحمة إلى الله باعتبار لفظ الجلالة جامعاً لجميع الأسماء والصفات، دلالة على أعظم أنواع الكرم واللطف[٦].

٤-**(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ)**: وضع فيه الاسم الظاهر موضع الضمير، لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق[٧].

خامساً: التفسير الإجمالي

قل أيها الرسول: يا عباد الله الذين أفرطوا في المعاصي واستكثروا منها، لا تيأسوا من مغفرة الله تعالى، فإن الله يغفر كل ذنب إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه .

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (٨/ ٥٢٥٩).

(٢) اللباب لابن عادل الدمشقي (٥/ ٥٩١).

(٣) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٥).

(٤) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٣).

(٥) السراج المنير، للخطيب الشربيني (٣/ ٤٥٥).

(٦) غرائب القرآن، للنيسابوري (٦/ ١٠).

(٧) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٦).

لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] إن الله كثير المغفرة والرحمة، فلا يعاقب بعد التوبة[١].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها، ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه"[٢].

وقال الشوكاني: "واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله، لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولا أضاف العباد إلى نفسه، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ثم عقّب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك: **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ...**"[٣]،

وتقييد المغفرة بالتوبة والإنابة وإخلاص العمل مأخوذ من الآية التالية: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ..**﴾ الآية ومن الحديث المتقدم في سبب النزول، فباب الرحمة واسع، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ**﴾ [التوبة: ١٠٤] وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [النساء: ١١٠].[٤]

أخرج الطبراني أن ابن مسعود ﷺ قال: إن أعظم آية في كتاب الله: ﴿**اللَّهُ لا إِلـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ**﴾[النحل: ٩٠]. وإن أكثر آية في القرآن فرجاً في سورة الغرف (أي الزمر): ﴿**قُلْ يا**

---

(١) انظر: انظر: النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٣١)، مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٨٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٠٦).

(٣) فتح القدير (٤/ ٥٣٨).

(٤) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٠٦)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٦).

عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾، وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢- ٣].[١]

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن لله تعالى أن يغفر جميع الذنوب الصادرة من المؤمنين، ويعفو عن الكبائر منها أيضا. وهذا متروك لمشيئة الله وفضله[٢].

٢. يغفر الله تعالى الذنوب بالتوبة من الشرك والكفر والمعاصي، والإنابة والرجوع إلى الله بالإخلاص والعمل الصالح، والخضوع له والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه[٣].

٣. محل ذلك كله في الدنيا قبل مجيء العذاب بالموت، وتعذر التخلص منه، أو المنع منه بناصر أو معين[٤].

٤. تقييد المغفرة بالتوبة خلاف الظاهر، ويدل على إطلاقها فيما عدا الشرك قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾** [النساء: ٤٨][٥].

٥. التعليل بقوله: {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} دلالة على المبالغة وإفادة الحصر، والوعد بالرحمة بعد المغفرة. لكن هذا متروك لمشيئة الله وتفضله، وليس هو القانون العام[٦].

المطلب الثاني: التوبة إلى الله قبل فوات الأوان.

الإنابة والعودة إلى أفياء الطاعة وظلال الاستسلام.. هذا هو كل شيء، بلا طقوس ولا مراسم ولا حواجز ولا وسطاء ولا شفعاء، صلة مباشرة بين المخلوق والخالق، من أراد الأوبة من الشاردين فليؤب، ومن أراد الإنابة من الضالين فلينب، ومن أراد الاستسلام من العصاة فليستسلم هيا قبل فوات الأوان، وهذا ما قد بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا**

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني (٩/ ١٣٢)، ح: ٨٦٥٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٤٩): وَفِيهِ عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ وَهُوَ ثِقَةٌ وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٨٠).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٢٢١).

(٤) انظر: التفسير المظهري (٨/ ٢٢٥).

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٥٩).

(٦) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٩١).

لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الزمر: ٥٤-٥٥].

أولاً: المعاني اللغوية

١-**وَأَنِيبُوا**: ارجعوا وتوبوا إلى رَبِّكُمْ[١].

٢-**وَأَسْلِمُوا**: الاستسلام هو: الانقياد والخضوع لله، وإخلاص العمل لَهُ[٢].

ثانياً: التفسير الإجمالي

ذكر الله تعالى تقييد المغفرة بشرطين:

١- الإنابة والتوبة: بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، والاستسلام لأمره، والخضوع لحكمه، من قبل مجيء عذاب الدنيا بالموت، ثم لا تجدوا نصيراً ولا معيناً يمنع عذابه عنكم، أي قبل حلول النقمة[٣].

٢- اتباع القرآن: أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، والتزموا طاعته واجتنبوا معاصيه، أي اتبعوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، والقرآن كله حسن. وذلك من قبل مجيء العذاب فجأة، وأنتم غافلون عنه، لا تشعرون به. وهذا تهديد ووعيد شديد واضح[٤].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. العمل: هو اتباع القرآن العظيم، بإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والتزام أوامره وطاعته، واجتناب نواهيه ومعصيته. ويلاحظ أنه تعالى لما وعد بالمغفرة أمر بعد هذا الوعد بشيئين: الأول: الإنابة والتوبة. الثاني: متابعة الأحسن، وهو القرآن، كما قال: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ [الزمر: ٢٣] والقرآن كله حسن، واتباعه: العمل بما أمر الله في كتابه، واجتناب معصيته[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٣).

(٢) تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٦).

(٣) انظر: لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٨٨)، مفاتيح الغيب، للرازي (٣/ ٥٨٣).

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٦)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٥٠٠).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٦٦).

٢. ذكر الإنابة بعد المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة، وللدلالة على أنها شرط فيها لازم، لا تحصل بدونه، أي إن المغفرة لا تحصل لكل أحد من غير توبة وإخلاص في العمل، وهو القانون العام[١].

المطلب الثالث: الحسرة قرينة المشرك يوم القيامة.

إذا انتهت هذه الحياة فلا كرة ولا رجوع، وها أنتم أولاء في دار العمل، وهي فرصة واحدة إذا انقضت لا تعود، وستسألون عنها مع التبكيت والترذيل. وهذا ما بينه سبحانه وتعالى بقوله: **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩].**

أولاً: المعاني اللغوية

١-**فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**: أي طاعته وعبادته وطلب مرضاته[٢].

٢-**السَّاخِرِينَ**: المستهزئين بدينه وكتابه وأهله[٣].

٣-**كَرَّةً**: رجعة إلى الدنيا[٤].

٤-**الْمُحْسِنِينَ**: المؤمنين الذين أحسنوا العقيدة والعمل[٥].

ثانياً: البلاغة

١-**نَفْسٌ**: تنكير نفس لأن القائل بعض الأنفس، أو للتكثير[٦].

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣٦).

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٨٤).

(٤) تفسير يحيى بن سلام (٢/ ٥١١).

(٥) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣١٦)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٢).

(٦) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢١٣).

٢-**جَنْبِ اللَّهِ**: كناية عن حق الله وطاعته[١].

ثالثاً: الإعراب ومعانيه

بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي: جواب قوله تعالى: **﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** والجواب ببلى لأنها تأتي في جواب النفي، لأن المعنى: ما هداني الله وما كنت من المتقين، فقيل له: **﴿بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ بِها وَاسْتَكْبَرْتَ﴾**، فلولا أن معنى الكلام النفي، وإلا لما وقعت بَلى في جوابه[٢].

رابعاً: التفسير الإجمالي

حذر الله تعالى من التعلل بالأماني والتحسر على الماضي في وقت لا ينفع فيه ذلك، فقال تعالى:

١- **﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾**، أي بادروا إلى التوبة والعمل الصالح، واحذروا أن تقول نفس مجرمة مفرطة في التوبة والإنابة: يا ندامتي وحسرتي على تقصيري في الإيمان بالله، وطاعته، وبالقرآن والعمل به، وإنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ بدين الله وكتابه وبرسوله وبالمؤمنين، غير موقن ولا مصدّق بشيء من ذلك[٣].

٢- **﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾**، أي أو أن تقول: لو أن الله أرشدني إلى دينه، لكنت ممن يتقي الله، ويجتنب الشرك والمعاصي[٤].

٣- **﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**، أي أو أن تقول حين معاينة العذاب: ليت لي رجعة أخرى إلى الدنيا، فأكون من المؤمنين بالله، الموحّدين له، المحسنين في أعمالهم، وبإيجاز: تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل[٥].

---

(١) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٣٥٩).

(٣) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ٩٥)، التفسير المظهري (٨/ ٢٢٨).

(٤) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٨٩)، زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٢٤).

(٥) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٨)، مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني (٢/ ٢٢٧).

فرد الله تعالى بقوله: **﴿بَلى قَدْ جاءَتْكَ آياتِي، فَكَذَّبْتَ بِها، وَاسْتَكْبَرْتَ، وَكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾**، أي نعم، لقد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي المنزلة في القرآن في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك، فكذبت بها، واستكبرت عن اتباعها، وكنت من الجاحدين لها، والمعنى: قد كنت متمكنا من التصديق والمتابعة، فلماذا تطلب الرجعة إلى الدنيا الآن؟! ولن تنفعك الرجعة ولا فائدة منها لقوله سبحانه: **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ﴾** [الأنعام: ٢٨].[١]

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. يأتي المقصر يوم القيامة بثلاثة أشياء:

أولها- الحسرة على التفريط في الطاعة، وأنه ما كان إلا من المستهزئين بالقرآن وبالرسول وبأولياء الله المؤمنين في الدنيا[٢].

ثانيها- التعلل بفقد الهداية، وهذا قريب من احتجاج المشركين فيما أخبر الله عنه: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ١٤٨] فهي كلمة حق أريد بها باطل[٣].

ثالثها- تمني الرجعة إلى الدنيا، كما قال: **﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها﴾** [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].[٤]

٢. أجاب الله تعالى عن كلامهم بأن قال: التعلل بفقد الهداية باطل، لأن الهداية كانت حاضرة، والأعذار زائلة، ولكن العبد كذب بالقرآن، وتكبر عن اتباع آياته، وكان من الكافرين بها، الجاحدين لها[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣١٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١١١).

(٢) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٣٨).

(٣) انظر: مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٨٩)، تفسير الجلالين (ص: ٦١٤).

(٤) انظر: جامع البيان، للإيجي (٣/ ٥١٣)، روح البيان، لإسماعيل حقي (٨/ ١٣٠).

(٥) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ٦٩٨)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٢٨).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٠-٦٧)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: تباين حال المشركين والمتقين يوم القيامة

المطلب الثاني: دلائل الألوهية والتوحيد

المطلب الثالث: عصمة الله لرسوله ﷺ

المطلب الرابع: إخلاص العبادة لله وتعظيمه

المطلب الأول: تباين حال المشركين والمتقين يوم القيامة

هذا هو المصير الأخروي، فريق مسود الوجوه من الخزي، ومن الكمد، ومن لفح الجحيم. وهو فريق المتكبرين في هذه الأرض، الذين لم يلبوا هاتف النجاة، فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه، وفريق ناج فائز لا يمسه السوء ولا يخالطه الحزن، هو فريق المتقين، الذين عاشوا في حذر من الآخرة، وفي طمع في رحمة الله، فهم اليوم يجدون النجاة والفوز والأمن والسلامة. هذا ما بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر: ٦٠، ٦١].**

أولاً: المناسبة

بعد وعيد المشركين بما سبق من أهوال القيامة، ووعد المتقين بالعفو والمغفرة والنعيم، ذكر الله تعالى نوعاً آخر من الوعيد والوعد، وهو حال الفريقين يوم القيامة، حال المكذبين، وحال المتقين، فتسودّ وجوه الفريق الأول، وتبيضّ وجوه الفريق الثاني(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ:** بنسبة الولد والشريك إليه(٢).

٢-**مَثْوىً:** مقام أو مأوى(٣).

٣-**بِمَفازَتِهِمْ:** بفوزهم بالجنة وفلاحهم، بأن يجعلوا في الجنة، وتفسيرها بالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب، فإن سبب نجاتهم العمل الصالح، ويجوز أن يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة، لأنه سببها(٤).

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٤٢).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٧).

(٣) جامع البيان، للإيجي (٣/ ٥١٣).

(٤) مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٩٠).

ثالثاً: البلاغة

١-**وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ:** خص الوجوه بالذكر لأنها الصفحة التي يبدو عليها ما يجرى في كيان الإنسان، من مشاعر وعواطف وأحاسيس، سواء أكان في حال نعيم، ومسرة، ورضوان، أم كان في حال بلاء، ونكد، وشقاء[١].

رابعاً: القراءات ومعناها

قرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم **﴿بِمَفَازَاتِهِمْ﴾** على الجمع، والباقون **﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾** على التوحيد، وكلاهما صواب، إذ يقال في الكلام قد تبين أمر القوم وأمور القوم[٢]، قال أبو علي الفارسي[٣]: "الإفراد للمصدر ووجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها، كقوله تعالى: **﴿وتظنون بالله الظنونا﴾**(الأحزاب:١٠) ولا شك أن لكل متق نوعا آخر عن المفازة"[٤].

خامساً: الإعراب ومعانيه

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ: الَّذِينَ: مفعول تَرَى، ﴿**وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾: جملة اسمية في موضع نصب على الحال، واستغني عن الواو لمكان الضمير في قوله: ﴿**وُجُوهُهُمْ**﴾، ولو نصب ﴿**وُجُوهَهُمْ**﴾ على البدل من **﴿الَّذِينَ﴾** لكان جائزا حسنا[٥].

بِمَفَازَتِهِمْ: قال عبد الكريم الخطيب: "يذهب المفسّرون إلى أن **﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾** جار ومجرور متعلق بالفعل (ينجّى) على تقدير أن المفازة بمعنى الفوز، والباء للسببية.. أي بسبب فوزهم.. ويكون المعنى: وينجى الله الذين اتقوا بهذا الفوز الذي حصلوا عليه في الآخرة.. والرأي عندنا والله أعلم

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٨/ ٣١٧)، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١١٨٥).

(٢) انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة (ص: ٦٢٤)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٦٩).

(٣) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ وتجوّل في كثير من البلدان، من كتبه (التذكرة) في علوم العربية، عشرون مجلدا، و(الحجة – ط) الأول منه، في علل القرآت)، وسئل في حلب وشيراز وبغداد والبصرة أسئلة كثيرة فصنف في أسئلة كل بلد كتابا. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٩).

(٤) الحجة للقراء السبعة، (٦/ ٩٧).

(٥) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٤١).

أن متعلق الجار والمجرور هو قوله تعالى: (**وَيُنَجِّي**) ولكن تبقى المفازة على معناها الذي صار حقيقة لغوية عليها، والباء للملابسة.. ويكون المعنى: وينجي الله الذين اتقوا وهم ملتبسون بهذه المفازة، سائرون في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر (لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ) حيث تحرسهم عناية الله، وتحفّ بهم ألطافه.. (وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على فائت فاتهم من أمر الدنيا.. ويجوز كذلك- والله أعلم- أن يتعلق الجار والمجرور بقوله تعالى: (لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ) ويكون المعنى: وينجي الله الذين اتقوا، لا يمسهم السوء وهم بمفازتهم التي يجتازونها إلى موقف الحساب والجزاء، ولا هم يحزنون على فائت، إذا هم رأوا ما أعدّ الله لهم من نعيم ورضوان، في جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين"[1].

لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ: حال، أو استئناف لبيان المفازة[2].

سادساً: التفسير الإجمالي

اذكر أيها الرسول خبراً مهماً هو حين ترى يوم القيامة الذين كذبوا على الله في دعواهم له شريكاً وصاحبةً وولداً، وجوههم مسودة بكذبهم وافترائهم، لما أحدق بهم من شدة وحزن وكآبة، ولما شاهدوه من العذاب وغضب الله ونقمته[3]، قال الرازي: "الكلام في كيفية السواد الحاصل في وجوههم، والأقرب أنه سواد مخالف لسائر أنواع السواد، وهو سواد يدل على الجهل بالله والكذب على الله، وأقول إن الجهل ظلمة، والظلمة تتخيل كأنها سواد فسواد قلوبهم أوجب سواد وجوههم، وتحت هذا الكلام أسرار عميقة من مباحث أحوال القيامة"[4].

إن في جهنم مسكناً ومقاماً للمتكبرين عن طاعة الله، الذين أبوا الانقياد للحق.(والكبر): هو بطر الحق وغمط الناس، كما في الحديث الصحيح. وفي حديث آخر أخرجه أحمد والترمذي

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١١٨٦)، وانظر: إعراب القرآن، للدعاس (٣/ ١٤٥).

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٦١).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١١١).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٦٩).

عن عبد الله بن عمرو عن النبيﷺ: **(يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذّرّ في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم)**[١].

قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، هذا حال الفريق الآخر في مواجهة فريق المشركين المكذبين، وهو أن الله ينجي الذين اتقوا الشرك ومعاصي الله من عذاب جهنم، ينجيهم بفوزهم، أي بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة، وينفي السوء والحزن عنهم يوم القيامة، بل هم آمنون من كل فزع[٢].

وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية في حديث زيد بن أسلم، قال: **(يحشر الله مع كل امرئ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورة، وأطيب ريح، فكلما كان رعب أو خوف، قال له: لا ترع، فما أنت بالمراد به، ولا أنت بالمعنيّ به، فإذا كثر ذلك عليه قال: فما أحسنك! فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ أنا عملك الصالح، حملتني على ثقلي، فو الله لأحملنك، ولأدفعنّ عنك، فهي التي قال الله: وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**[٣].

سابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. اسوداد وجوه الكفار المكذبين الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه، مما أحاط بهم من غضب الله ونقمته، والزج بهم في نار جهنم، في أشد حالات الذل والمهانة والصغار[٤].

٢. نجاة المتقين وفوزهم بالجنة، فلا ينالهم الخوف والرعب يوم القيامة، وتأكد هذا بقولهم: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾ [الأنبياء: ١٠٣].[٥]

---

(١) مسند أحمد (١١/ ٢٦٠)، حديث رقم: ٦٦٧٧، وحسن شعيب الأرناؤوط إسناده.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٩٠).

(٣) الأهوال، لابن أبي الدنيا (ص: ١٣٤)، ورواه مطولاً الإمام أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٩)، حديث رقم: ١٨٥٣٤، وصحح المحقق شعيب الأرناؤوط إسناده.

(٤) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣١٩).

(٥) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٢٤).

٣. ما أشأم هذا الإنسان الذي يدعى من ربّه بهذا النداء الكريم: **(يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.. إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً.. إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)**.. ثم لا يستجيب لهذا النداء، ولا يحثّ الخطا إلى ربّه، ثم يظلّ جامدا في مكانه، مسرفا على نفسه في مواقع الضلال، حتى تطوى صفحته من هذه الدنيا، ثم إذا هو يساق إلى جهنّم، لتكون له مأوى، يذوق فيه العذاب طعوماً وألواناً![١].

٤. قوله تعالى: (ترى) بمعنى تبصر، فالرؤية رؤية بصرية، لا علمية، وقوله تعالى: (وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) جملة وقعت حالاً، أي تبصرهم يوم القيامة، وهم على تلك الحال.[٢]

٥. قوله تعالى **﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**، هذه كلمة جامعة لأنه إذا علم أنه لا يمسه السوء كان فارغ البال بحسب الحال عما وقع في قلبه بسبب فوات الماضي، فحينئذ يظهر أنه سلم عن كل الآفات، ونسأل الله الفوز بهذه الدرجات بمنه وكرمه"[٣].

المطلب الثاني: دلائل الألوهية والتوحيد

عرض لحقيقة التوحيد من جانب وحدانية الخالق الذي خلق كل شيء، المالك المتصرف في كل شيء. وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [الزمر: ٦٢، ٦٣].

أولاً: المناسبة

قال البقاعي: "لما كان المخوف منه والمحزون عليه جامعين لكل ما في الكون فكان لا يقدر على دفعهما إلا المبدع القيوم، قال مستأنفاً أو معللاً مظهراً الاسم الأعظم تعظيماً للمقام: {الله} أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً"[٤].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٥٩).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١١٨٥).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٧٠).

(٤) نظم الدرر(١٦/ ٥٤٣).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**وَكِيلٌ:** قيّم يتولى التصرف فيه[١].

٢-**مَقَالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ:** مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما، لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن قدرته وحفظه لها[٢].

ثالثاً: البلاغة

١-**لَهُ مَقَالِيدُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ:** استعارة مكنية، شبه الخيرات والبركات والأرزاق بخزائن، واستعار لها لفظ المقاليد أي المفاتيح، والمعنى: خزائن رحمته وفضله بيده تعالى، والمعنى: أن السلطان والملك، والتصرف في كل شيء، والتدبير والحفظ هو لله تعالى.[٣]

رابعا: التفسير الإجمالي

الله تعالى هو مبدع الأشياء كلها وخالقها جميعها، الموجودة في الدنيا والآخرة، لا فرق بين شيء وآخر، وهو ربها ومالكها والمتصرف فيها والقائم بحفظها وتدبيرها، فهي محتاجة إليه في وجودها وبقائها معا. وهذا دليل على أن أعمال العباد مخلوقة لله[٤].

قال الرازي: "الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير منازع ولا مشارك"[٥].

---

(١) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٢٠).

(٢) الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٤٩).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٥٣٩)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢١٧).

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا (٧/ ٥٢٧).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧٠).

قولـه تعـالى: **﴿لَـهُ مَقَالِيـدُ السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ﴾** أي: هـو مالـك أمرهـا وحافظهـا، وهـذا استعارة لملكه خيراتها وأرزاقها، أو كناية عن انفراده تعالى بحفظها وتدبيرها وملك مفاتيحها، لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، أي مفاتيحها. [١]

والذين جحدوا آيات الله في القرآن وبراهينه في الأكوان الدالة على وحدانية الله وعظيم قدرته وأنه مالك السموات والأرض ومدبرهما، أولئك هم الذين خسروا أنفسهم، وخلدوا في نار جهنم، جزاء كفرهم[٢].

قال سيد قطب: "خسروا الإدراك الذي يجعل حياتهم في الأرض متسقة مع حياة الكون كله وخسروا راحة الهدى وجمال الإيمان وطمأنينة الاعتقاد وحلاوة اليقين. وخسروا في الآخرة أنفسهم وأهليهم. فهم الخاسرون الذين ينطبق عليهم لفظ (الخاسرون)! وعلى ضوء هذه الحقيقة التي تنطق بها السماوات والأرض، ويشهد بها كل شيء في الوجود، يلقن الرسول ﷺ استنكار ما يعرضونه عليه من مشاركتهم عبادة آلهتهم في مقابل أن يعبدوا معه إلهه. كأن الأمر أمر صفقة يساوم عليها في السوق! **(قل: أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)** وهو الاستنكار الذي تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبئ عن الجهل المطلق المطبق المطموس"[٣].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن الله تعالى خالق الأشياء كلها، ومنها أعمال العباد[٤]. فهو يصرفها وفق ما يريد وهي تسير وفق نظامه الذي قدره وما تتدخل إرادة غير إرادته في تصريفها، على ما تشهد الفطرة، وينطق الواقع، ويقر العقل والضمير[٥] .

٢. إن الله سبحانه هو القائم بحفظ الأشياء وتدبيرها من غير مشارك، وهو سبحانه مالك أمر

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٥٣٩).

(٢) انظر: لباب التأويل، للخازن(٤/ ٦٣)

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٦١).

(٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي (ص: ٦١).

(٥) انظر: في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٦١).

السموات والأرض وحافظها.[1]

٣. إن الذين كفروا بالقرآن والحجج والدلالات الدالة على وجود الله ووحدانيته وكمال عظمته وقدرته هم الخاسرون أنفسهم في الدنيا والآخرة، وصريح الآية يقتضي أنه لا خاسر إلا كافر، وهذا يدل على أن كل من لم يكن كافراً فإنه لا بد وأن يحصل له حظ من رحمة الله[2] .

المطلب الثالث: عصمة الله لرسوله ﷺ

تبدو دعوة المشركين للنبي- ﷺ - إلى مشاركتهم عبادة آلهتهم في مقابل أن يشاركوه عبادة إلهه! تبدو هذه الدعوة مستغربة، كيف لا والله هو خالق كل شيء، وهو المتصرف في ملكوت السماوات والأرض بلا شريك. فأنى يعبد معه غيره، وله وحده مقاليد السماوات والأرض؟! وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾** [الزمر: ٦٤]

أولاً: المناسبة

بعد أن أبان الله تعالى الوعد والوعيد يوم القيامة لأهل التوحيد وأهل الشرك، نعى على الكافرين أمرهم رسول الله ﷺ بعبادة الأصنام، وأنهم لم يعرفوا الله حق المعرفة، إذ لو عرفوه لما جعلوا الجمادات شركاء له في العبودية، استنكار تصرخ به الفطرة في وجه هذا العرض السخيف الذي ينبئ عن الجهل المطلق المطبق المطموس[3].

ثانياً: أسباب النزول

عن الحسن البصري قال: قال المشركون للنبيﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟ فأنزل الله: **(قُلْ: أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ)** إلى قوله: **(مِنَ الشَّاكِرِينَ)**[4]. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس

---

(١) انظر: فتح البيان، لصديق حسن خان (١٢/ ١٣٩).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٧١)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٢/ ٢٤٤).

(٣) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٤٥).

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص: ٢٣٠).

رضي الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، ويعبدوا معه إلهه، فنزلت: **(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ)** الآية[1].

ثالثاً: القراءات ومعناها

تَأْمُرُونِّي: قرأت بنون واحدة مخففة عند نافع، والدوري، وخلف، وقرأت بنون واحدة مشددة عند عاصم، وابن كثير، والسوسي، وقرأت بنونين، عند ابن عامر برواية هشان وابن ذكوان[2].

رابعاً: الإعراب ومعانيه

أَفَغَيْرَ اللَّهِ: (غير): إما منصوب بـ(**أَعْبُدُ)** أي أعبد غير الله فيما تأمروني به، وإمّا منصوب ب تَأْمُرُونِّي لأنه يقتضي مفعولين: الثاني منهما بحرف جر، كقولك: أمرتك الخير، أي بالخير. فالياء: هي المفعول الأول، وغير: مفعول ثان. وأعبد: في موضع البدل من (غير) تقديره: أتأمروني بغير الله أن أعبد[3].

خامساً: التفسير الإجمالي

أمر الله رسوله بتوبيخ المشركين على الدعوة لعبادة الأصنام، فقال: **(قُلْ: أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجاهِلُونَ)** أي قل أيها الرسول لكفار قومك الذين دعوك إلى عبادة الأصنام قائلين: هو دين آبائك: أتأمروني أيها الجهلة بعبادة غير الله بعد أن قامت الأدلة القطعية على تفرده بالألوهية، فهو خالق الأشياء كلها وربها ومدبرها، فلا تصلح العبادة إلا له سبحانه[4].

قال المراغي في تفسيره: "قل لمشركى قومك الداعين لك إلى عبادة الأصنام والقائلين لك: هو دين آبائك: أفتأمروني أيها الجاهلون بعد مشاهدتى الآيات الدالة على تفرده سبحانه وتعالى بالألوهية أن أعبد غيره، والعبادة لا تصلح لشيء سواه"[5].

---

(١) المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٤٤). وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص: ٢٠٦).

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥٦٣).

(٣) انظر: أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن لابن هشام (ص: ١٩)، الموسوعة القرآنية للإبياري (٤/ ١٨٧).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٣١)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤٤).

(٥) (٢٤/ ٢٩).

وقال الرازي: "إنما وصفهم بالجهل لأنه تقدم وصف الإله بكونه خالقاً للأشياء وبكونه مالكاً لمقاليد السموات والأرض، وظاهر كون هذه الأصنام جمادات أنها لا تضر ولا تنفع، ومن أعرض عن عبادة الإله الموصوف بتلك الصفات الشريفة المقدسة، واشتغل بعبادة هذه الأجسام الخسيسة، فقد بلغ في الجهل مبلغاً لا مزيد عليه، فلهذا السبب قال: أيها الجاهلون ولا شك أن وصفهم بهذا الأمر لائق بهذا الموضع"(١).

وقال عبد الكريم الخطيب: "وهذا التعقيب هو وإن كان تلقيناً من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه إلا أنه دعوة العقل، تلتقى مع أمر الله!. فالعقل بمنطقه، لا يجد أمام هذا العرض لقدرة الله، وبين يدى تلك الدلائل الدالة على وحدانيته- لا يجد إلا الإذعان لله، والولاء له، وإخلاص العبادة له وحده، غير ملتفت إلى ما يدعو إليه أهل الجهالة والضلالة، من عبادة ما يعبدون من ضلالات"(٢).

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. من العجب العجاب أن يطلب المشركون من النبي ﷺ عبادة أصنامهم، ليعبدوا معها إلهه. فهم لم يعرفوا الله حق المعرفة، ولم يعظموه حق التعظيم، إذ عبدوا معه غيره، وهو خالق الأشياء ومالكها(٣).

٢. وصف الله تعالى المشركين بالجهل، لأنهم لم يتفكروا بخالق الأشياء ولا بكونه مالكاً لمقاليد السموات والأرض، وعبدوا أصناماً جمادات لا تضر ولا تنفع، ومن فعل مثل ذلك فهو في غاية الجهل(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧٢).

(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٢/ ١١٨٨).

(٣) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد أمين الهرري (٢٥/ ١٠٤).

(٤) انظر: البرهان، لابن الزبير الغرناطي (ص: ٢٩٣).

المطلب الرابع: إخلاص العبادة لله وتعظيمه.

تحذير من الشرك، يبدأ أول ما يبدأ بالأنبياء والمرسلين. وهم- صلوات الله عليهم- لا يتطرق إلى قلوبهم طائف الشرك أبداً، ولكن التحذير هنا ينبه سواهم من أقوامهم إلى تفرد ذات الله سبحانه في مقام العبادة، وتوحد البشر في مقام العبودية، بما فيهم الأنبياء والمرسلون. ثم يكشف لهم عن جانب من عظمة الله وقوته، على طريقة التصوير القرآنية، التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية، يتصورها إدراكهم المحدود، وهذا ما قد بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٧].

أولاً: المناسبة

بعد أن أبان الله تعالى الوعد والوعيد يوم القيامة لأهل التوحيد وأهل الشرك، عاد إلى تبيان دلائل الألوهية والتوحيد، ثم نعى على الكافرين أمرهم رسول الله ﷺ بعبادة الأصنام، وأنهم لم يعرفوا الله حق المعرفة، إذ لو عرفوه لما جعلوا الجمادات شركاء له في العبودية[1].

ثانياً: أسباب النزول

(وَما قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ يهودي بالنبي ﷺ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه- أي على إصبع-، والأرضين على ذه- أي على إصبع، والماء على ذه- أي على إصبع-، والجبال على ذه- أي على إصبع-، فأنزل الله: وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ الآية. [2]

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي(١٦/ ٥٤٦)

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٢٦)، حديث رقم: ٢٢٦٧، وحسنه شعيب الأرناؤوط.

ثالثاً: المعاني اللغوية

١-**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**: ليذهبن هباء منثورا، والإحباط: الإبطال[١].

٢-**وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**: ما عظّموه حق التعظيم اللائق به، حيث جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق به[٢].

٣-**وَالْأَرْضُ جَمِيعاً**: أي الأراضي السبع[٣].

رابعاً: القراءات ومعناها

قال الزمخشري: "قرئ: **(ليحبطنَّ عملك)**، و**(ليُحبطن)**: على البناء للمفعول. و**(لنحبطن)**، بالنون والياء، أي: ليحبطن الله، أو الشرك"[٤].

خامساً: الإعراب ومعانيه

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ: منصوب بـ أعبد أو منصوب بتقدير فعل، أي بل اعبد الله فاعبد. والفاء: زائدة عند الأخفش، وغير زائدة عند غيره[٥].

وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ: الْأَرْضُ: مبتدأ، وقَبْضَتُهُ: خبره، وجَمِيعاً: حال[٦].

سادساً: التفسير الإجمالي

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، أي: إن أمركم لعجيب، فلقد أوحي إلي وإلى من قبلي من الرسل أن الإله المعبود هو الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أشرك نبي- على سبيل الفرض والتقدير- ليحبطن

---

(١) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، للقصاب (١/ ٥٥١).

(٢) اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٦/ ٥٤٦).

(٣) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٢٤).

(٤) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٤١).

(٥) إعراب القرآن العظيم، لزكريا الأنصاري (ص: ٤٧٢).

(٦) إعراب القرآن، للنحاس (٤/ ١٧).

ويبطلن عمله، وليكونن من الذين خسروا أنفسهم، وضيعوا دنياهم وآخرتهم. وإذا كان الشرك موجباً إحباط عمل الأنبياء فرضاً، فهو محبط عمل غيرهم بطريق الأولى، كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ٨٨][١].

قال الرازي: "كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم؟ والجواب أن قوله لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزأيها ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزأيها غير صادق، قال الله تعالى: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [الأنبياء: ٢٢] ولم يلزم من هذا صدق القول بأن فيهما آلهة وبأنهما قد فسدتا"[٢].

وقال المراغي في تفسيره: " نزل عليك الوحي من ربك بأنه إذا حصل منك إشراك به بعبادة صنم أو وثن ليبطلن كل عمل لك من أعمال الخير كصلة رحم، وبر ببائس فقير، ولا تنالن به ثوابا ولا جزاء، ولتكونن ممن خسروا حظوظهم في الدنيا والآخرة، وأوحى إلى الرسل من قبلك بمثل هذا"[٣].

وقال القرطبي: "الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، إذ قد علم الله أنه لا يشرك ولا يقع منه إشراك، فمن ارتد لم تنفعه طاعاته السابقة ولكن إحباط الردة العمل مشروط بالوفاة على الكفر، ولهذا قال: " من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم" فالمطلق ها هنا محمول على المقيد"[٤].

وقال عبد الكريم الخطيب: "هو تشنيع على الشرك، وعلى ما يحيق بالمشركين من غضب الله ونقمته، وأنه أمر إن وقع فيه أحد، فلا شفاعة له عند الله حتى ولو فرض –وهو مستحيل– إن كان الذي يشرك بالله، من أقرب المقربين إلى الله، وهم أنبياء الله، أو كان من أكرم

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٢)، في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٣٠٦٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧٢).

(٣) (٢٤/ ٣٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٧٧).

خلق الله على الله، وهو رسول الله!"[1]. وقال الرازي: "ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين؟ والجواب كما أن طاعات الأنبياء والرسل أفضل من طاعات غيرهم، فكذلك القبائح التي تصدر عنهم فإنها بتقدير الصدور تكون أقبح لقوله تعالى: ﴿**إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ**﴾ [الإسراء: ٧٥] فكان المعنى ضعف الشرك الحاصل منه، وبتقدير حصوله منه يكون تأثيره في جانب غضب الله أقوى وأعظم"[2].

ثم انتقل من النهي عن الشرك إلى الأمر بعبادة الله وحده، فقال تعالى: ﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدّقك، واعبده وحده، ولا تعبد معه أحداً سواه، وكن من الشاكرين إنعامه عليك بالتوفيق والهداية للإيمان بالله وحده، وتشريفك بالرسالة والدعوة إلى دين الله تعالى[3].

وبعد أن نعى الله تعالى ما أمر به المشركون نبيّ الله من عبادة الأوثان، نعى عليهم أنهم لم يعرفوا الله حق المعرفة، فقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ أي ما عظموا الله حق تعظيمه، وما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه إلهاً غيره، وهو الذي لا أعظم ولا أقدر منه[4].عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله ﷻ يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ وَما قَدَرُوا اللَّـهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ...الآية[5]. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٢/ ١١٨٩)

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٧٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١١٢).

(٤) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٢/ ٤٦٢).

(٥) صحيح البخاري (٦/ ١٢٦)، كتاب تفسير القرآن، باب وما قدروا الله حق قدره، حديث رقم: ٤٨١١.

بيده، يحركها يقبل بها ويدبر: يمجّد الرب نفسه، أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم. فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: ليخرّنّ به)[1].

وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ أي والحال أن الأرض تحت تصرف الله وملكه، والسموات خاضعة لقدرته وسلطانه ومشيئته وإرادته، تنزه وتقدس الله عما يشركون به من المعبودات التي جعلوها شركاء لله، ويرى السلف وجوب الإيمان بهذه الظواهر، والاعتقاد بالقبضة واليمين، لأن الأصل في الكلام حمله على الحقيقة[2]. عن أبي هريرة ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)**[3].

سابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ. كلام على سبيل الفرض، والمراد به تهييج الرسل، وإقناط الكفرة، وتنبيه الأمة[4].

٢. إن الشرك والكفر محبط مبطل لجميع أعمال الكفار والمشركين، ولو كانت صالحة، فلا ثواب لهم عليها في الآخرة، بسبب أرضية الكفر التي قامت عليها. ومن ارتد أيضا ومات على الكفر، لم تنفعه طاعاته السابقة، وحبطت أعماله كلها، لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾** [البقرة: ٢١٧][5].

---

(١) مسند أحمد (٩/ ٣٠٤)، حديث رقم: ٥٤١٤، وصححه شعيب.

(٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ١٠٤)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٨)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٢٠).

(٣) صحيح البخاري (٦/ ١٢٦)، كتاب التفسير، باب قوله تعالى والأرض جميعاً قبضته، حديث رقم: ٤٨١٢.

(٤) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٤٢).

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٤٤).

٣. في الجمع بين العبادة والشكر، إشارة إلى أن هذه العبادة ليست عبادة قهر وقسر، بل هي عبادة حمد وشكر، وولاء، وحبّ لله سبحانه وتعالى، الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى[١].

٤. وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، وهذه الآية تنبيه على عظمة الله وكمال قدرته وحقارة الأجرام العظام بالنسبة لقدرته، وفيها دلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه[٢]. قال القرطبي: "وإنما خص يوم القيامة بالذكر وإن كانت قدرته شاملة لكل شي أيضا، لأن الدعاوى تنقطع ذلك اليوم، كما قال: " والأمر يومئذ لله" وقال: " مالك يوم الدين" ولذلك قال في الحديث: " ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض"[٣].

٥. لما بين سبحانه وتعالى عظمته، وأنه القادر القاهر العظيم الذي حارت العقول والألباب في وصف عظمته، أوجب ذلك له التنزه والتقدس عن أن تجعل الأصنام شركاء له في المعبودية[٤].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١١٨٩).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٧٩).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٧٥).

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٨-٧٥)

وفيه ثلاث مطالب

المطلب الأول: أنواع النفخ، وبيان أن وعد الله حق

المطلب الثاني: مآل الأشقياء والسعداء

المطلب الثالث: تسبيح الملائكة لله وحده

المطلب الأول: أنواع النفخ، وبيان أن وعد الله حق

مشهد رائع حافل، يبدأ متحركاً، ثم يسير وئيداً، حتى تهدأ كل حركة، ويخيم على ساحة العرض جلال الصمت، ورهبة الخشوع، بين يدي الله الواحد القهار! فلا حاجة إلى كلمة تقال، ولا إلى صوت واحد يرتفع. لأن المقام هنا مقام روعة وجلال. وهذا الذي بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾. [الزمر: ٦٨ – ٧٠].

أولاً: المناسبة

بعد بيان أدلة عظمة الله وكمال قدرته بتصرفه في الكون وتدبيره، وخلقه كل شيء، ذكر الله تعالى مقدمات يوم القيامة الدالة أيضاً على تمام القدرة وعظمة السلطان، وهي نفختا الصور مرتين، الأولى للإماتة، والثانية للبعث من القبور، ثم الفصل بالحق والعدل بين الخلائق للحساب والجزاء، وإيصال الحق إلى كل واحد(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**: الصُّورِ بوق أو قرن ينفخ فيه(٢).

٢-**فَصَعِقَ**: مات أو غشي عليه(٣).

٣-**وَأَشْرَقَتِ**: أنارت بما أقامه الله من العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق فيهم(٤) .

٤-**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**: وضع كتاب الأعمال أو صحائف الأعمال للحساب(٥).

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٥١، ٥٥٢).

(٢) تفسير يحيى بن سلام (١/ ٢٠٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٣٦٢).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٤٥).

(٥) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٤٥).

٥-**وَالشُّهَداءِ:** الذين يشهدون للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين[١].

٦-**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ:** وصلت كل نفس إلى حقها، وحصلت على الجزاء[٢].

ثالثاً: البلاغة

١-**يَنْظُرُونَ يُظْلَمُونَ يَفْعَلُونَ:** بينها توافق الفواصل في الحرف الأخير، مما يوحي بروعة البيان وكمال الجمال[٣].

رابعاً: التفسير الإجمالي

يخبر الله تعالى عن هول يوم القيامة وما فيه من الآيات العظيمة الباهرة الدالة على كمال القدرة وتمام العظمة الإلهية، فيقول: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾** أي هذه هي النفخة الأولى للموت، حيث ينفخ إسرافيل في الصور الذي هو بوق أو قرن، فيموت من الفزع وشدة الصوت أهل السموات والأرض، والصعق: الموت في الحال، إلا من شاء الله ألا يموت حينئذ كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل نفسه الذين يموتون بعد ذلك، وقيل: لا ندري من هم؟[٤].

ثم ينفخ فيه نفخة أخرى للبعث من القبور، فيقوم الخلق كلهم أحياء على أرجلهم ينظرون أهوال القيامة وما يقال لهم أو ينتظرون ما يفعل بهم، بعد أن كانوا عظاما ورفاتا، كما قال تعالى: **﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾** [النازعات: ١٣- ١٤] وقال سبحانه: **﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾** [الإسراء: ٥٢] وقال جل وعلا: **﴿وَمِنْ**

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٢٦).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٨٨).

(٣) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٣).

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري(٢١/ ٣٢٩)، الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٥٥)، مفاتيح الغيب، للرازي(٢٧/٤٧٦).

آياتِـهِ أَنْ تَقُـومَ السَّـماءُ وَالْأَرْضُ بِـأَمْرِهِ ثُـمَّ إِذا دَعـاكُمْ دَعْـوَةً مِـنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْـتُمْ تَخْرُجُـونَ﴾ [الروم:٢٥][١].

ثم ذكر الله تعالى بعض أحوال يوم القيامة:

١- وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها، أي: أضاءت أرض المحشر وأنارت بتجلي الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء، وبما أقامه الله من العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق بين عباده[٢].

٢- وَوُضِعَ الْكِتابُ، أي: وضعت كتب وصحائف أعمال بني آدم بين يدي أصحابها، إما باليمين وإما بالشمال، كما قال تعالى: **﴿مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها﴾** [الكهف: ٤٩][٣].

٣- ٤: وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ، أي: وجيء بالأنبياء إلى الموقف، ليسألوا عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: **﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾** [النساء: ٤١] وجيء أيضا بالشهود الذين يشهدون على الأمم من الملائكة الحفظة التي تقيد أعمال العباد كما قال تعالى: **﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾** [ق: ٢١] والسائق: يسوق للحساب، والشهيد يشهد عليها، وكذا من أمة محمد ﷺ الذين يشهدون على الأمم بما بلغتهم به رسلهم، كما قال تعالى: **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾** [البقرة: ١٤٣]. وكذلك يجاء بالشهداء المؤمنين الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة بالبلاغ على من بلّغوه، فكذّب بالحق[٤].

وبعد فصل الخصومات، بيّن تعالى أنه يوصل إلى كل شخص حقه، فقال معبرا عن هذا المعنى بأربع عبارات:

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (١١/ ٤٦٤)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ١٤٠).

(٢) انظر: البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ١٠٤)، التفسير المظهري (٥/ ٢٨٥).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٤٥)، أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٩).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٢٧٢)، تفسير المراغي (٢٤/ ٣٤)،

١- ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾، أي: وقضي بين العباد بالعدل والصدق[١].

٢- ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾، أي: لا ينقصون من ثوابهم، ولا يزاد في عقابهم، ويكون جزاؤهم على قدر أعمالهم، كما قال تعالى: **﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: ٤٧] وقال سبحانه: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾** [النساء: ٤٠][٢].

٣- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ﴾، أي وفيت وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر[٣].

٤- ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ﴾، أي والله عالم بما يفعل العباد في الدنيا، من غير حاجة إلى كاتب ولا حاسب ولا شاهد، وإنما وضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء لتكميل الحجة، وقطع المعذرة. وأتى بهذا الحكم للدلالة على أنه تعالى يقضي بالحق عن علم تام، فلا يحتمل وجود أي خطأ في ذلك الحكم. والمقصود: بيان أن كل مكلف يصل إلى حقه[٤].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- ينفخ في يوم القيامة نفختان: النفخة الأولى منهما يموت بها الخلق، ويحيون في الثانية، والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام[٥]، فعن أبي سعيد الخدري قال: **(ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور، وقال: عن يمينه جبرائيل، وعن يساره ميكائيل)**[٦].

٢- اختلف في المستثنى من هم؟ فقيل: هم الشهداء متقلّدين أسيافهم حول العرش، وقيل: إنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ تلا: **﴿وَنُفِخَ**

---

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٤).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤٦).

(٣) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ٥٩٦).

(٤) فتح البيان، لصديق حسن خان (١٢/ ١٤٩).

(٥) الدر المنثور، للسيوطي (٧/ ٢٥٣).

(٦) مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ١٢٣)، حديث رقم: ١١٠٦٩، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط.

فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾ فقال: يا نبيّ الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: **(هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت)**، ثم ذكر أنه يؤمر جبريل بإماتة نفس إسرافيل وميكائيل وملك الموت، ثم يميت الله جبريل، ففي هذا الحديث: **(إن آخرهم موتا جبريل عليه وعليهم السلام)**. وقيل: الله أعلم بثنياه، أي استثنائه.(١).

قال القرطبي: "هذا القول الذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ أولى بالصحة، لأن الصعقة في هذا الموضع: الموت، والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك، وإنما عنى جل ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل، وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك، فذاق الموت من قبل ذلك، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدد له موت آخر في تلك الحال"(٢).

٣- يكون البعث: بأن يبعث الأموات من أهل الأرض والسماء أحياء من قبورهم، وتعاد إليهم أبدانهم وأرواحهم، فيقومون ينظرون، ماذا يؤمرون، أو ينتظرون ما يفعل بهم(٣).

٤- تستنير أرض المحشر وتضيء بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده، والظلم ظلمات، والعدل نور، أو إنها تستنير بنور خلق الله تعالى، فيضيء به الأرض(٤).

٥- إن أحوال الحكم والقضاء سبع: أن يوضع كتاب الأعمال بين آخذ بيمينه وآخذ بشماله، ويجاء بالنبيين والشهداء، فيسألون عما أجابت الأمم أنبياءها، ويقضى بين الناس بالصدق

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه (١/ ٨٦)، شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٥٣٣)، ورجحه القرطبي، انظر: جامع البيان (٢١/ ٣٣٢).

(٢) جامع البيان (٢١/ ٣٣٢).

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٣٦).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٣٨٥).

والعدل، ولا يظلمون، فلا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم، وتوفى كل نفس ما عملت من خير أو شر، والله أعلم بما فعلت كل نفس في الدنيا[١].

المطلب الثاني: مآل الأشقياء والسعداء

موقف إذعان وتسليم، لا موقف مخاصمة ولا مجادلة. ذلك ركب جهنم، ركب المتكبرين. ويقابله ركب الجنة، ركب المتقين، الاستقبال الطيب، والثناء المستحب، والخلود في النعيم. وهذا الذي بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [الزمر: ٧١ – ٧٤]

أولاً: المناسبة

بعد بيان أحوال أهل القيامة مجملا، بقوله تعالى: وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ أبان الله تعالى بالتفصيل أحوال الكافرين وأحوال المتقين[٢].

ثانياً: المعاني اللغوية

١–**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ:** من السوق: وهو الحث على السير بعنف وشدة وإزعاج، بقصد الإهانة والاحتقار[٣].

٢–**زُمَراً:** الزمر: جماعات أو أفواجا بعضها إثر بعض، بمقدار تفاوتهم في الضلالة والشر[٤].

٣–**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً:** أي أسرع بهم بلطف إلى دار الكرامة جماعات،

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي (٢٤/ ٥٧).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٦٤، ٥٦٥).

(٣) روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٢٨٦).

(٤) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٩٤).

على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة[١].

٣-**طِبْتُمْ:** طهرتم من دنس المعاصي[٢].

٤-**وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ:** أي أرض الجنة، وقد أورثوها، أي ملكوها وجعلوا ملاكها، وأطلق تصرفهم فيها كما يشاءون، تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه، على سبيل الاستعارة [٣].

٥-**نَتَبَوَّأُ:** ننزل في أي مقام أردنا من الجنة الواسعة[٤].

ثالثاً: القراءات ومعناها

فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا: قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {فتحت} {وَفتحت} مشددتين، وَقَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة والكسائى {فتحت} {وَفتحت} يخففون ياءات الْإِضَافَة[٥].

رابعاً: البلاغة

١-**(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً)، (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً):** مقابلة بينهما، قابل بين حال السعداء وحال الأشقياء[٦].

٢-**فَادْخُلُوها خالِدِينَ:** التعليل بالفاء يدلّ على كون ذلك الدخول معللا بالطيب والطهارة[٧].

٣-**حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذابِ عَلَى الْكافِرِينَ:** وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة[٨].

---

(١) لباب التأويل، للخازن (٤/ ٦٥).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٠).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٠).

(٤) التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، ليحيى بن سلام (ص: ١٣٣).

(٥) السبعة في القراءات (ص: ٥٦٤)

(٦) صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٢).

(٧) تفسير الجلالين (ص: ٦١٧)، أيسر التفاسير للجزائري (٤/ ٥٠٩).

(٨) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٩).

٤ -**وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ**: استعارة مكنية، تشبيها بحال الوارث وتصرفه في إرثه[١].

خامساً: التفسير الإجمالي

يخبر الله تعالى عن حال الأشقياء الكفار، كيف يساقون إلى النار، فيقول: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً أي يساق الكافرون بربهم إلى النار، سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد، جماعات بعضها إثر بعض، لكل جماعة قائد: هو رأسهم في الكفر وداعيتهم إليه. ونظير الآية: **﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾** [الطور: ١٣] أي يدفعون إليها دفعا. حتى إذا وصلوا إليها، فتحت لهم أبوابها السبعة سريعا ليدخلوها ولتعجل لهم العقوبة، ويختصوا بنارها[٢].

وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها من الملائكة الزبانية الأشداء القوى حفظة النار والقائمين عليها، على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل: ألم يأتكم رسل من جنسكم وأنفسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم، يتلون عليكم آيات ربكم التي أنزلها لإقامة الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه، ويحذرونكم من شر هذا اليوم، ويخوفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم إليه. أجابهم الكفار معترفين قائلين لهم: بلى، قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين، ولكن كذبناهم وخالفناهم، ووجبت كلمة العذاب على من كفر بالله وأشرك، وهي قوله تعالى: **﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [هود: ١١٩]. ونظير الآية: **﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾** [الملك: ٨- ١٠][٣].

وبعد هذا الإقرار أجيبوا بإصدار حكم الجزاء، فتقول لهم الملائكة الحفظة على النار: ادخلوا في أبواب جهنم التي فتحت لكم، مقدّرا لكم فيها من قبل الله الخلود والبقاء، ماكثين فيها إلى الأبد، لا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها، فبئس المسكن الدائم جهنم، بسبب تكبركم في الدنيا عن اتباع الحق، فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه. وإنما أبهم القائل وأطلق، ولم ينسب

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي(١٨/ ٤٠١)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٠/ ٥٦٩).

(٣) انظر: تفسير المراغي (٢٤/ ٣٦)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٥١٠).

إلى قائل معين، ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه، بما حكم العدل الخبير عليهم به[١].

ثم يخبر الله تعالى عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون إلى الجنة مكرّمين، حيث تسوق الملائكة المؤمنين بإعزاز وتشريف وتكريم وفدا إلى الجنة، جماعة بعد جماعة: المقربون، فالأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كل طائفة مع أمثالهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع الصديقين، والشهداء مع بعضهم، والعلماء مع أقرانهم. حتى إذا وصلوا إلى أبواب الجنة الثمانية، بعد مجاوزة الصراط، واقتص لهم من مظالم الدنيا، وكانت قد فتحت أبوابها لاستقبالهم[٢].

وقال خزنة الجنة للمؤمنين: سلامة لكم من كل آفة ومكروه، طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم في الدنيا، فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصي، وطاب جزاؤكم في الآخرة، فادخلوا الجنة ماكثين فيها أبدا، لا زوال ولا تحول عنها، ولا موت ولا فناء فيها[٣].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- توفى كل نفس عملها، فيساق الكافر إلى النار، والمؤمن إلى الجنة[٤].

٢- يساق أهل النار إليها بسرعة وعنف، إهانة لهم واحتقارا، وهم حينذاك جماعات متفرقة بعضها إثر بعض، وتفتح أبواب جهنم عند وصولهم إليها، وتقول لهم سدنتها تقريعا وتوبيخا: ألم تأتكم الرسل من جنسكم لتبليغكم الكتب المنزلة عليكم، وإنذاركم وتخويفكم لقاء وقتكم هذا؟[٥]

٣- يجيب أهل النار: نقر ونعترف بقيام الحجة علينا بمجيء الرسل، ولكن وجب العذاب على

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٤٩)، التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٣١٢).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١١٩)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٣٠).
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٤١)، التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد مكي (٥/ ٣٦٨).
(٤) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٩٢).
(٥) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٢٤).

الكفار، لقوله تعالى: **﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [هود: ١١٩] [١].

٤- دلّت هذه الآية: **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**.. على أنه لا تكليف ولا إيجاب لشيء من الشرائع والأحكام قبل مجيء الشرع، لأن الملائكة بيّنوا أنه ما بقي للكفار علّة ولا عذر بعد مجيء الأنبياء عليهم السلام، ولو لم يكن مجيء الأنبياء شرطا في استحقاق العذاب، لما بقي في هذا الكلام فائدة[٢].

٥- تقول الملائكة بعد سماع جواب الكافرين: ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ[٣].

٦- يقاد الأتقياء بلطف وإعزاز وإكرام، من الشهداء والزهاد والعلماء والقرّاء وغيرهم، ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته، ويؤتى بهم إلى الجنة، فيجدون أبوابها مفتحة لهم: **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾** [ص: ٥٠] ويذكر خزنة الجنة لأهل الثواب هذه الكلمات الثلاث:

الأولى- قولهم: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، يبشّرونهم بالسلامة من كل الآفات.

الثانية- قولهم: طِبْتُمْ، من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا.

الثالثة- قولهم: فَادْخُلُوها خالِدِينَ، أي بالطيب والطهارة[٤].

٧- سبب التفرقة بين أهل النار وأهل الجنة في فتح الأبواب، حيث فتحت أبواب النار بغير الواو، وفتحت أبواب الجنة بالواو: هو احتقار الفريق الأول وتخصيصهم بالنار، وإعزاز الفريق الثاني وإكرامهم بالاستقبال والاستعداد، فلا تفتح أبواب النار إلا عند دخول أهلها فيها، وتفتح أبواب الجنة قبل وصول أهلها إليها، ولذلك جيء بالواو، كأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها[٥].

---

(١) التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٥٩٤).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل، للسيوطي (ص: ١٢١).

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٢٧٢).

(٤) تفسير الجلالين (ص: ٦١٧)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٥٠٩).

(٥) ملاك التأويل، لابن الزبير الغرناطي (٢/ ٤٣١).

٨- إذا خاطبت الملائكة المتقين بالكلمات الثلاث السابقة، قال المتقون عند ذلك وبعد دخول الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده بنعيم الجنة، وأورثنا أرض الجنة، فنعم ثواب المحسنين هذا الذي أعطيتنا[١].

المطلب الثالث: تسبيح الملائكة لله وحده

يختم المشهد بما يغمر النفس بالروعة والرهبة والجلال، وما يتسق مع جو المشهد كله وظله، وما يختم سورة التوحيد أنسب ختام والوجود كله يتجه إلى ربه بالحمد في خشوع واستسلام. وكلمة الحمد ينطق بها كل حي وكل موجود في استسلام: وهذا الذي بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الزمر: ٧٥].

أولاً: المناسبة

بعد بيان أحوال الكافرين والمتقين على التفصيل، وصف الله تعالى ذلك الموكب المهيب موكب الملائكة المحدقين الحافين حول العرش، الذين يسبحون بحمده، ينزهونه عن النقائص، ويشكرونه، ويقولون بعد استقرار الفريقين في الجنة والنار: الحمد لله رب العالمين على ما أنعم به، وقضى بالحق بين الخلائق[٢].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**حَافِّينَ**: محدقين من حول العرش ومحيطين حوله[٣].

٢-**يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**: ينزهون ربهم من كل نقص، ملتبسين بحمده[٤].

---

(١) تفسير المراغي (٢٤/ ٣٩).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٦/ ٥٧٠، ٥٧١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٣٦٤).

(٤) الوجيز، للواحدي (ص: ٩٦٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

يقول المؤمنون الأتقياء الذين عملوا الصالحات إذا عاينوا الجنة وما فيها من نعيم مقيم وثواب وافر: الحمد والشكر لله العظيم الذي أنجزنا وعده بالبعث والثواب بالجنة، والذي وعدنا به على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا في الدنيا: **﴿ رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾** [آل عمران: ١٩٤]، **﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾** [فاطر: ٣٤- ٣٥]. وجعلنا ملاك الجنة المتصرفين فيها، نرث أرض الجنة، كأنها صارت من غيرهم إليهم، فملكوها وتصرفوا فيها، كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾** [الأنبياء: ١٠٥]. وأين شئنا حللنا، نتخذ في الجنة من المنازل ما نشاء حيث نشاء، فنعم الأجر أجرنا على عملنا، ونعم أجر العاملين: الجنة[١].

ثم أخبر الله تعالى عن حال الملائكة المحدقين حول العرش، يرى السعيد المؤمن جماعات الملائكة محيطين محدقين بالعرش المجيد، يسبّحون الله (ينزهون الله عن كل نقص وجور) ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه، ويحمدونه ويشكرونه على أفضاله ونعمه، قائلين: سبحان الله وبحمده. والحال أيضا أنه قد قضي بين العباد بالعدل، فأدخل بعضهم الجنة، وبعضهم النار، ونطق المؤمنون والملائكة والكون أجمعه بالحمد والشكر لله ربّ العالمين من الإنس والجن، في حكمه وعدله وقضائه بين المؤمنين وبين أهل النار بالحق المطلق الذي لا خطأ فيه[٢].

وأبهم القائل وأطلق للدلالة على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد. فافتتح الخلق بالحمد في قوله: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾** [الأنعام: ١]، واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى: **﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾** ويلاحظ أن المؤمنين حمدوا ربّهم أولاً على إنجاز وعده ووراثتهم أرض الجنة، يتبوّءون منها حيث يشاءون، وحمدوه ثانياً على القضاء بالحق، والحكم بالعدل بين الناس جميعاً[٣].

---

(١) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٢)، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١٢٠٠).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٤٤)، النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٣٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٧)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٢٥).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- يكون الملائكة في جوانب العرش وأطرافه، قائلين: سبحان الله وبحمده، متلذذين بذلك لا متعبدين به، أي يصلون حول العرش شكراً لربهم، بعد أن قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، ويقول المؤمنون والملائكة ونحوهم: الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه، ونصرنا على من ظلمنا. [١].

٢- في قوله: **﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾** دقيقة، وهي أنه لم يبين أن ذلك القائل من هو، والمقصود من هذا الإبهام التنبيه، على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا الحمد لله رب العالمين وتأكد هذا بقوله تعالى في صفة أهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين[٢].

---

(١) غرائب القرآن، للنيسابوري (٦/ ١٧).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨١).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (١-٢٠)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (١-٦)

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٧-٩)

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (١٠-٢٠)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (١-٦)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الحروف المقطعة في القرآن

المطلب الثاني: الإشادة بصفات الله سبحانه

المطلب الثالث: جدال الكفار بالباطل

المطلب الرابع: الاعتبار مما حدث للأقوام السابقة

المطلب الأول: الحروف المقطعة في القرآن.

جو السورة كله كأنه جو معركة. وهي المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والطغيان، وبين المتكبرين المتجبرين في الأرض، فجاء المبارزة لهم بالافتتاح بالحروف المقطعة التي يدبّجون بها الخطب الرنانة، ومع ذلك لا يستطيعون معارضته، لأنه كلام الله تعالى، وهذا ما بينه تعالى في قوله: ﴿**حم**﴾. [غافر: ١].

أولاً: القراءات ومعناها

حم: قرئ بالسكون، وهو المشهور على الأصل في الحروف المقطعة، وقرئ حاميم، بفتح الميم، والفتح إما لالتقاء الساكنين، لأنه أخف الحركات، أو أن يكون فتح الميم علامة النصب بتقدير فعل، أي اتل **حم**(١).

ثانياً: الإعراب ومعانيه

حم: قال الرازي: "الأقرب ها هنا أن يقال حم اسم للسورة، فقوله **حم** مبتدأ، وقوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ**﴾ خبر، والتقدير: إن هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب، فقول: ﴿**تَنْزِيلُ**﴾ مصدر، لكن المراد منه: المنزل"(٢).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-حم: أطالت عائشة بنت الشاطئ في تناول المراد بالحروف المقطعة التي ابتدئت بها بعض سور القرآن الكريم، وناقشت أقوال العلماء فيها، وخلاصة ما ذكرته: ما مِنْ حرف في القرآن الكريم تأوَّلوه زائداً أو قدَّروه محذوفاً أو فسرُوه بحرف آخر، لا يتحدى بسرَّه البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز(٣).

---

(١) انظر: إعراب القرآن، للنحاس (٤/ ١٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٧/ ٤٨٢).

(٣) الإعجاز البياني للقرآن، عائشة بنت الشاطئ (ص: ١٣٩، ٢٠٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

حم: هذه الحروف المقطعة المبدوء بها بعض السور للتنبيه على إعجاز القرآن وتحدي العرب أن يأتوا بمثله، وللدلالة على أن هذا القرآن المعجز منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية التي تتركب منها الكلمات والجمل العربية[١].

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

حم، من الحروف المقطعة في فواتح السور، للتنبيه على مضمون السورة وعلى إعجاز القرآن المكون نظمه من حروف اللغة العربية التي ينطق بها العرب وينظمون بها الأشعار ويدبّجون بها الخطب الرنانة، ومع ذلك لا يستطيعون معارضته، لأنه كلام الله تعالى[٢].

المطلب الثاني: الإشادة بصفات الله سبحانه.

إيقاعات ذات رنين خاص، ومطارق منتظمة الجرس ثابتة الوقع، مستقرة المقاطع، تحمل الشدة في ألفاظها ومعناها، ولعل هذا هو الذي بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**، [غافر: ٢ – ٣].

أولاً: المعاني اللغوية

١-**الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ:** القوي في ملكه، العليم بخلقه[٣].

٢-**الْمَصِيرُ:** المرجع، فيجازي المطيع والعاصي[٤].

ثانياً: البلاغة

١-**الله الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ:** إنما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الأسماء الثلاثة لكونها دالة على أن أفعاله سبحانه حكمة وصواب، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون هذا التنزيل حقا وصوابا، وقيل

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٧٩)، صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني (٤/ ١٥٠١)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/٥٤٥).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٤٣).

(٤) الموسوعة القرآنية، للأبياري (١١/ ٩٧).

الفائدة في ذكر العزيز العليم أمران أحدهما: أنه بقدرته وعلمه أنزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والإعجاز، ولولا كونه عزيزا عليما لما صح ذلك والثاني: أنه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره إلى حين انقطاع التكليف، وذلك لا يتم إلا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء [1].

ثالثاً: الإعراب ومعانيه

﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ﴾ مبتدأ، والخبر **﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**. ويجوز أن يكون **﴿تَنْزِيلُ﴾** خبراً لمبتدأ محذوف، أي هذا تَنْزِيلُ الْكِتابِ ويجوز أن يكون **﴿حم﴾** مبتدأ، و**﴿تَنْزِيلُ﴾** خبره، والمعنى: إن القرآن أنزله الله وليس منقولاً، ولا مما يجوز أن يكذّب به[2].

رابعاً: التفسير الإجمالي

القرآن المتلو بين الناس على الملأ منزّل من عند الله، ليس بكذب عليه، والله الذي أنزله هو العزيز أي الغالب القوي القادر القاهر، والعليم أي البالغ العلم التام بخلقه وما يقولونه ويفعلونه، الذي يعلم السر وأخفى[3].

ثم وصف الله نفسه بستة أنواع من الصفات الجامعة بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، فقال: **﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**، أي: إن الله منزل القرآن هو غافر الذنب الذي سلف لأوليائه، سواء أكان صغيرة أم كبيرة بعد التوبة أو قبل التوبة بمشيئته، وقابل توبتهم المخلصة، وشديد العقاب لأعدائه، وذو التفضل والإنعام والسعة والغنى، ينعم بمحض إحسانه تعالى، وهو الإله الواحد الذي لا شريك له ولا ندّ ولا صاحبة ولا ولد، وإليه المرجع والمآب في اليوم الآخر، لا إلى غيره[4].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٣)

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٠)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٩/ ١٠٠)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ١١١٥)، الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (٢٤/ ٢١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن، للنحاس (٦/ ١٤٨)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٧).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٢٧)، البحر المديد، لابن عجيبة (١١١/٥).

كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب ﷺ، ففقده عمر، فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، تتابع في هذا الشراب. فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافِرِ الذَّنْبِ، وَقابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقابِ، ذِي الطَّوْلِ، لا إِلهَ إِلَّا هُوَ، إِلَيْهِ الْمَصِيرُ. ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه. فلما بلغ الرجل كتاب عمر ﷺ جعل يقرؤه ويرردده، ويقول: **﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ﴾** قد حذّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي. فلم يزل يرددها على نفسه، ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع. فلما بلغ عمر خبره قال: **هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زلّ زلّة، فسدّدوه ووثّقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه**[1].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن تنزيل القرآن من الله ذي العزة والعلم، فهو ليس منقولا ولا مما يصحّ أن يكذّب به[2].

٢. وصف الله تعالى نفسه بستّ صفات تجمع بين الترغيب والترهيب، وتفتح باب الأمل للعصاة والكفار للمبادرة إلى ساحة الإيمان والتزام جادة الاستقامة على أمر الله ومنهجه. وتشير القصتان التاليتان إلى مدى فعالية هذا الأسلوب القرآني في إصلاح البشرية[3].

٣. قد يعفو الله تعالى عن الذنوب الصغائر بتوبة أو بغير توبة، وقد يعفو أيضا عن الكبائر كالقتل والسرقة والزنى بعد التوبة، وإطلاق الآية غافِرِ الذَّنْبِ يدل على كونه غافرا للذنوب الكبائر قبل التوبة، إذا شاء وأراد. ولكن قبول التوبة من الذنب يقع على سبيل التفضل

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٩٨)، وقال ابن كثير في مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٥١٧) رواه أبو نعيم، وإسناده جيد، وفيه انقطاع.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٠).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١/ ٤٢٦)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٣٠٦٨/٥).

والإحسان من الله، وليس بواجب على الله، لأنه تعالى ذكر كونه قابلاً للتوب على سبيل المدح والثناء، ولو كان ذلك من الواجبات لم يبق فيه من معنى المدح إلا القليل[1].

٤. في الآية إيماء بترجيح جانب الرحمة والفضل على جانب الغضب والعدل، لأنه تعالى لما أراد أن يصف نفسه بأنه شَدِيدِ الْعِقابِ ذكر قبله أمرين، كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب، وهو كونه غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ وذكر بعده ما يدلّ على حصول الرحمة العظيمة، وهو قوله: ذِي الطَّوْلِ[2].

المطلب الثالث: جدال الكفار بالباطل

الوجود كله مستسلم لله، ولا يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فيشذون عن سائر الوجود بهذا الجدال، ومن ثم فهم لا يستحقون أن يأبه لهم رسول الله- ﷺ - مهما تقلبوا في الخير والمتاع، وهذا ما بينة تعالى في قوله: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾، [غافر: ٤].

أولاً: أسباب النزول

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك في قوله تعالى: ﴿**ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي[3].[4]

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ**: لا تغترّ بإمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات الرابحة بقصد المعاش، فإن عاقبتهم النار والهلاك. والتقلب في البلاد: التصرف والتنقل[1].

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة (٢/ ٢٩١)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٤)، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج (ص: ٦٢).

(٣) الحارث بن قيس السهمي ذكر فيمن استشهد بأجنادين، ولا تعرف له رواية. [انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (١١/ ٤٦٩)، وإكمال تهذيب الكمال (٢٨٣/٣)].

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

ذكر تعالى أحوال المجادلين في القرآن بقصد إبطاله وإطفاء نوره، فقال: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾ أي ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلا الذين كفروا، فهم يجادلون بالباطل بقصد دحض الحق، كوصفهم القرآن بأنه شعر أو سحر أو أساطير الأولين، فلا تغترّ أيها النبي وكل مؤمن بشيء من رفاهية الدنيا التي تراهم فيها، كالتجارة في البلاد، وتحقيق الأرباح، وجمع الأموال، فإنهم معاقبون عما قليل، وعاقبتهم في النهاية الدمار والهلاك، وهذا تسلية للنبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]، وقال سبحانه: ﴿**نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [لقمان: ٢٤] (٢).

ويلاحظ أن الجدال نوعان: جدال في تقرير الحق، وجدال في تقرير الباطل، أما الجدال بالحق لبيان غوامض الأمور والوصول إلى فهم الحقائق: فهو جائز مشروع، اتخذه الأنبياء أسلوباً في دعوتهم إلى الدين الحق، قال تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام أنهم قالوا له: ﴿**يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود: ٣٢]، وقال تعالى لنبيه محمدﷺ: ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]. وأما الجدال بالباطل كالمذكور هنا فهو مذموم، كما قال تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨] (٣).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن الجدال لتقرير الباطل لدحض الحق وإبطال الإيمان، بالاعتماد على الشبهات، بعد البيان القرآني وظهور البرهان الإلهي: كفر وضلال وجحود لآيات الله وحججه وبراهينه، والجدال في آيات الله أن يقال مثلا عن القرآن: إنه سحر أو شعر أو من قول الكهنة، أو أساطير الأولين، أو إنما يعلّمه بشر، ونحو ذلك. أما الجدال لتوضيح الحق ورفع اللّبس والرّد إلى

---

(١) انظر: الفواتح الإلهية، للشيخ علوان (٢/ ٢٥٦)، عنايه القاضي وكفاية الراضي، للشهاب الخفاجي (٣٥٧/٧).

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥٠)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٢٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٦)، التفسير الوسيط، مجمع البحوث (٨/ ٦١٠)،

الحق، فهو من أعظم ما يتقرّب به المتقرّبون، قال تعالى: **﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [العنكبوت: ٤٦][١].

٢. لا يغترن أحد بإمهال الكفرة والعصاة وتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم يترددون في البلاد للتجارة وطلب المعاش، فإن الله يمهل ولا يهمل، وإنه وإن أمهلهم فإنه سينتقم منهم كما فعل بأمثالهم من الأمم الماضية[٢].

المطلب الرابع: الاعتبار مما حدث للأقوام السابقة.

المكذبون صائرون إلى ما صارت إليه أحزاب المكذبين قبلهم وقد أخذهم الله أخذاً، بعقاب يستحق العجب والإعجاب! ومع الأخذ في الدنيا فإن عذاب الآخرة ينتظرهم هناك، وهذا ما بينه تعالى في قوله: **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾** [غافر: ٥-٦].

أولاً: المعاني اللغوية

١-وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ: الجماعات من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما[٣].

٢-وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ: عزمت[٤].

٣-لِيَأْخُذُوهُ: ليتمكنوا منه بما أرادوا من تعذيب وقتل، فيحبسوه ويأسروه ويعذبوه ويقتلوه[٥].

٤-لِيُدْحِضُوا: يزيلوا به الحق[٦].

٥-حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ: وجبت كلمته أي حكمه بالهلاك وقضاؤه بالعذاب[٧].

---

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٦٥)، روح البيان، لإسماعي لحقي (٨/ ١٥٣)، مراح لبيد، للجاوي (٣٤١/٢).

(٢) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي (٧/ ٢٤٢)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٨٤).

(٣) تفسير المراغي (٢٤/ ٤٣).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٦).

(٥) الوجيز للواحدي (ص: ٩٤٠).

(٦) إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٠).

(٧) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣١).

ثانياً: الإعراب ومعانيه

أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ: بدل من كَلِمَةُ رَبِّكَ بدل الكل من اللفظ أو الاشتمال من المعنى[١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

أخبر الله تعالى عن تشابه أقوام الأنبياء في تكذيب رسلهم، فقال: **﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** أي كذبت قبل قوم قريش قوم نوح (وهو أول رسول بعثه الله للنهي عن عبادة الأوثان) والجماعات الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح، كعاد وثمود وأصحاب لوط وقوم فرعون، بتكذيب رسلهم، فعوقبوا أشد العقاب[٢].

وعزمت وحرصت كل أمة من تلك الأمم المكذبة برسولهم المرسل إليهم على أخذه، لحبسه وتعذيبه وإصابة ما يريدون منه أو قتله، فمنهم من قتل رسوله، وخاصموا رسولهم بالشبهة وبالباطل من القول، ليردوا الحق الواضح الجلي، وليبطلوا الإيمان. عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(من أعان باطلا ليدحض به حقا، فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله)**[٣]. فأخذت هؤلاء المجادلين بالباطل بالعذاب، وأهلكتهم، فقد جاء الأخذ بمعنى الإهلاك في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾** [الحج: ٤٤] [٤].

فانظر كيف عقابي الذي عاقبتهم به؟ فإنه كان مهلكاً مستأصلاً، وليعتبر قومك يا محمد بهذا، فإني أعاقبهم بعقاب مماثل، وإنهم يمرون على بلادهم ومساكنهم، فيعاينون أثر ذلك. ومثل ذلك عذاب كل كافر، والمعنى: وكما وجب العذاب على الأمم المكذبة لرسلهم، وجب على الذين كفروا بك يا محمد، وجادلوك بالباطل، وتحزبوا عليك، فالسبب واحد والعلة واحدة، وذلك العذاب هو استحقاقهم النار[٥].

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥١)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ١١١٥).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٥٢)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٧٠).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢١٥)، ح: ١١٥٣٩، وقال الحاكم في المستدرك (١١٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد.

(٤) انظر: روح البيان، لإسماعيل حقي (٨/ ١٥٥)، البحر المديد، لابن عجيبة (١١٢/٥).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٦)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٦٨).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. المثال المتكرر في القرآن الكريم: هو أن الله تعالى أهلك الأمم المكذبة برسلها، الذين جادلوا الأنبياء بالشرك ليبطلوا به الإيمان، وقد لمس الناس آثار ذلك الهلاك في ديارهم ومساكنهم، لذا قال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ كانَ عِقابِ**﴾ أي كيف كان عقابي إياهم، أليس قد وجدوه حقا؟![١].

٢. إن مثل الذي وجب (حق) على الأمم السالفة من العقاب، يجب (يحق) على الذين كفروا في كل زمان ومكان، سواء من قريش وغيرهم، فهم على وشك نزول العقاب بهم[٢].

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٨)، مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ١٩٩).

(٢) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥١)، التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/ ٨٨)، في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٧٠).

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر

من الآية (٧-٩)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حال الملائكة الأطهار والمؤمنين الأبرار

المطلب الثاني: أدب الدعاء والسؤال

المطلب الثالث: دعاء الملائكة للمؤمنين

المطلب الأول: حال الملائكة الأطهار والمؤمنين الأبرار.

حملة العرش ومن حوله هم من بين الملائكة في هذا الوجود، يذكرون المؤمنين من البشر عند ربهم، ويستغفرون لهم، ويستنجزون وعد الله إياهم بحكم رابطة الإيمان بينهم وبين المؤمنين، وهذا ما بينه الله سبحانه وتعالى بقوله: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا..﴾ [غافر: ٧].**

أولاً: المناسبة

بعد أن بيّن الله تعالى أن الكفار يبالغون في إظهار العداوة للمؤمنين، بيّن هنا أن أشرف المخلوقات وهم حملة العرش والذين هم حول العرش يبالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين، فلا تبال بالكفرة أيها الرسول، ولا تلتفت إليهم ولا تقم لهم وزنا، فإن حملة العرش ومن حوله ينصرونك[1].

ثانياً: البلاغة

قال الرازي: "واعلم أنه تعالى حكى عن حملة العرش، وعن الحافين بالعرش ثلاثة أشياء:

– النوع الأول: قوله يسبحون بحمد ربهم ونظيره قوله حكاية عن الملائكة **(ونحن نسبح بحمدك)** [البقرة: ٣٠] وقوله تعالى: **(وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم)** [الزمر:٧٥] فالتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي، والتحميد الاعتراف بأنه هو المنعم على الإطلاق، فالتسبيح إشارة إلى الجلال والتحميد إشارة إلى الإكرام، فقوله يسبحون بحمد ربهم قريب من **قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام** [الرحمن: ٧٨].

– النوع الثاني: مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة هو قوله تعالى: ويؤمنون به فإن قيل فأي فائدة في قوله (ويؤمنون به) فإن الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن إلا وقد سبق الإيمان بالله؟ قلنا الفائدة فيه ما ذكره صاحب (الكشاف)، وقد أحسن فيه جدا فقال إن المقصود منه التنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرا بالعرش لكان حملة العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه،

---

(١) نظم الدرر (١٧/ ١٢).

ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبا للمدح والثناء لأن الإقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين لا يوجب المدح والثناء، ألا ترى أن الإقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب/ المدح والثناء، فلما ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم، علم أنهم آمنوا به بدليل أنهم ما شاهدوه حاضرا جالسا هناك.

– النوع الثالث: مما حكى الله عن هؤلاء الملائكة قوله تعالى: ويستغفرون للذين آمنوا اعلم أنه ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، ويجب أن يكون التعظيم لأمر الله مقدما على الشفقة على خلق الله فقوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لأمر الله وقوله ويستغفرون للذين آمنوا مشعر بالشفقة على خلق الله." [1].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

الملائكة حملة العرش ومن حوله من الملائكة يقرنون بين التنزيه الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات الثناء والتمجيد، ويصدقون بوجود الله ووحدانيته ولا يستكبرون عن عبادته، فهم خاشعون له، أذلاء بين يديه، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا من أهل الأرض ممن آمن بالغيب[2]

ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم السلام، فهم يؤمّنون على دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: **(مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ)**[3]. ونحن نؤمن بحمل الملائكة العرش، ونترك الكيف والعدد لله ﷻ ، والعرش أعظم المخلوقات، ونؤمن به كما ورد[4].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٧)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٧/ ١٣).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٤)، كتاب الذكر، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، ح: ٢٧٣٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٤).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- أخبر الله تعالى عن الملائكة حملة العرش بثلاثة أشياء: التسبيح المقرون بالتحميد، والإيمان الكامل بالله تعالى وحده لا شريك له، والاستغفار للمؤمنين شفقة عليهم. ويلاحظ أنه قدم التسبيح والتحميد على الاستغفار، لأن التعظيم لأمر الله مقدم على الشفقة على خلق الله[١].

٢-وصف الملائكة بالإيمان، مع أن التسبيح والتحميد يكون مسبوقا بالإيمان: هو إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتاب الله بالصلاح لذلك، وكما عقّب أعمال الخير بقوله تعالى: **﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [البلد:١٧] فأبان بذلك فضل الإيمان[٢].

٣- التسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق، والتحميد: الاعتراف بأنه هو المنعم على الإطلاق، والأول إشارة إلى الجلال، والثاني إشارة إلى الإكرام، كما قال تعالى: **﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** [الرحمن: ٧٨][٣].

٤-فيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة، ودلالة على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين، لأن الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العقاب، أما طلب النفع الزائد وهو زيادة الثواب للمؤمنين، فإنه لا يسمى استغفارا[٤].

٥-العرش أعظم المخلوقات، نؤمن به، وندع أمر وصفه لله ﷻ . لكن يجب تنزيه الله عن التحديد والتجسيم والتكييف والحصر في مكان معين[٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٨٨)، مراح لبيد، للجاوي، (٢/ ٣٤٢).

(٢) انظر: مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ٢٠٠)، تفسير ابن عرفة (٣/ ٣٩٢).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٢)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٣٧).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٦٧)، تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين (١٢٥/٢٥).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٤)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٦٨).

المطلب الثاني: أدب الدعاء والسؤال.

العباد المقربون يتوجهون بعد تسبيح الله إلى الدعاء للمؤمنين من الناس بخير ما يدعو به مؤمن لمؤمن. يبدأ العباد المقربون دعائهم بأدب يعلمنا أدب الدعاء والسؤال. فيقدمون بين يدي الدعاء بأنهم- في طلب الرحمة للناس- إنما يستمدون من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ويحيلون إلى علم الله الذي وسع كل شيء وأنهم لا يقدمون بين يدي الله بشيء إنما هي رحمته وعلمه منهما يستمدون وإليهما يلجأون، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿...رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾**، [غافر: ٧].

أولاً: المعاني اللغوية

١-**سَبِيلَكَ**: دين الإسلام(١).

٢-**وَقِهِمْ**: احفظهم واصرف عنهم(٢).

ثانياً: التفسير الإجمالي

صيغة استغفارهم الملائكة للمؤمنين هي: **﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الْجَحِيمِ﴾**، أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فاستر واصفح عن الذين تابوا عن الذنوب، واتبعوا سبيل الله وهو دين الإسلام، واحفظهم من عذاب الجحيم- عذاب النار(٣).

قال خلف بن هشام البزار القارئ(٤): كنت أقرأ على سليم بن عيسى، فلما بلغت: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بكى، ثم قال: يا خلف! ما أكرم المؤمن على الله، نائما على فراشه،

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣١).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٢).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٥٤)، الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥١).

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب البزار المقرىء البغدادي، ثقة له اختيار في القراءات، من العاشرة مات سنة تسع وعشرين ومائتين. انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٩٤).

والملائكة يستغفرون له[1].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- إن الدعاء في أكثر الأحوال يبدأ بلفظ (ربنا) كما فعل الملائكة في دعائهم: **رَبَّنَا وَسِعْتَ.. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ..** ومن أرضى الدعاء: أن ينادي العبد ربه بقوله: (يا رب)[2].

٢- السنة في الدعاء: أن يبدأ فيه بالثناء على الله تعالى، ثم يذكر الدعاء عقبه، بدليل هذه الآية، فإن الملائكة لما عزموا على الدعاء والاستغفار للمؤمنين، بدؤوا بالثناء، فقالوا: **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً**، وكذلك بدأ إبراهيم الخليل بالثناء أولا على الله الهادي، الرزاق، الشافي، المحيي، الغفار، ثم قال: **﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾** [الشعراء: ٧٨-٨٣][3].

٣- وصف الملائكة الله تعالى في ثنائهم بقولهم: رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً بثلاث صفات: الربوبية والرحمة والعلم، والربوبية إشارة إلى الإيجاد والإبداع، والرحمة إشارة إلى أن جانب الخير والرحمة والإحسان راجح على جانب الضر، وأنه تعالى خلق الخلق للرحمة والخير، لا للإضرار والشر[4].

٤- قوله سبحانه: **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً**، دليل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها من الكليات والجزئيات[5].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٥)، طبقات القراء السبعة، لابن السَّلار (ص: ٩٨).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩٠).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٢)، غرائب القرآن، للنيسابوري (٦/ ٢٤).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩١).

(٥) انظر: اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٧/ ١٦)، مراح لبيد، للجاوي (٣٤٣/٢)،

المطلب الثالث: دعاء الملائكة للمؤمنين

يرتقي العباد المقربين في دعائهم للمؤمنين، من الغفران والوقاية من العذاب، إلى سؤال الجنة واستنجاز وعد الله لعباده الصالحين، إذ أن دخول الجنة نعيم وفوز يضاف إليه صحبة من صلح من الآباء والأزواج والذريات، وهي نعيم آخر مستقل. ثم هي مظهر من مظاهر الوحدة بين المؤمنين أجمعين؛ فعند عقدة الإيمان يلتقي الآباء والأبناء والأزواج، ولولا هذه العقدة لتقطعت بينهم الأسباب. ثم لفتة إلى الركيزة الأولى في الموقف العصيب، فالسيئات هي التي توبق أصحابها في الآخرة، وتوردهم مورد التهلكة، فإذا وقى الله عباده المؤمنين منها وقاهم نتائجها وعواقبها، وكانت هذه هي الرحمة في ذلك الموقف، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٨-٩].**

أولاً: المعاني اللغوية

-**وَقِهِمْ السَّيِّئَاتِ**: احفظهم من عذابها، أي: جزاء السيئات(١).

ثانياً: التفسير الإجمالي

يستمر دعاء الملائكة للمؤمنين: ربنا وأدخلهم جنات الإقامة الدائمة التي وعدتهم بها على ألسنة رسلك، وأدخل معهم من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، بأن كان مؤمنا موحدا قد عمل الصالحات، اجمع بينهم، تكميلا لنعمتك عليهم، وتماما لسرورهم، فإن الاجتماع بالأهل أكمل للبهجة والأنس، إنك أنت القوي الغالب الذي لا يغالب، الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك(٢).

ونظير الآية: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَما أَلَتْناهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ﴾** [الطور: ٢١].

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٦٩٣)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٢٦).

"قال مطرّف بن عبد الله الشّخيّر[١]: أنصح عباد الله للمؤمنين: الملائكة، ثم تلا هذه الآية: رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ الآية، وأغشّ عباده للمؤمنين: الشياطين"[٢]. وقال سعيد بن جبير[٣]: إن المؤمن إذا دخل الجنة، سأل عن أبيه وابنه وأخيه، أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل، فيقول: إني إنما عملت لي ولهم، فيلحقون به في الدرجة، ثم قرأ سعيد بن جبير هذه الآية: **﴿رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [٤].

ودعاؤهم متكامل يشمل دخول الجنان، ويمنع العقاب، **﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**، أي: واحفظهم من العقوبات أو العذاب وجزاء السيئات التي عملوها، بأن تغفرها لهم، ولا تؤاخذهم بشيء منها، وأبعد عنهم ما يسوؤهم من العذاب، ومن تقيه السيئات يوم القيامة، فقد رحمته من عذابك، وأدخلته جنتك، وهذا هو الفوز الساحق الأكبر الذي لا فوز أفضل منه[٥].

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١- استغفار الملائكة للمؤمنين التائبين الصالحين الموعودين بالمغفرة -وعدا لا إخلاف فيه-، من قبيل الزيادة في الكرامة والثواب[٦].

٢- اشتمل دعاء الملائكة على الخير كله وعلى أشياء كثيرة للمؤمنين، خلاصتها إن أكمل الدعاء: ما طلب فيه ثواب الجنة، والنجاة من النار[٧].

---

(١) مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي، أبو عبد الله البصري، ثقة عابد فاضل، مات سنة خمس وتسعين. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٣٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٣٢).

(٣) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي، ثقة ثبت فقيه من الثالثة، قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٢٣٤).

(٤) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٧).

(٥) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٥٧)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٩).

(٦) لباب التأويل، للخازن (٣/ ١٦).

(٧) التفسير المنير، للزحيلي (٢٤/ ٨٥).

المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر

من الآية (١٠-٢٠)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: تيقن المجرمين من عذاب النار، وأن الحكم والقضاء لله وحده

المطلب الثاني: الآيات الدالة على قدرة الله الباهرة في مخلوقاته

المطلب الثالث: إخلاص العباد لله

المطلب الرابع: مشاهد من يوم القيامة

المطلب الأول: تيقن المجرمين من عذاب النار،

وبيان أن الحكم والقضاء لله وحده

ينادى الكافرون من كل جانب، إن مقت الله لكم يوم كنتم تُدْعَوْن إلى الإيمان فتكفرون، أشد من مقتكم لأنفسكم وأنتم تطلعون اليوم على ما قادتكم إليه من شر ونكر، بكفرها وإعراضها عن دعوة الإيمان، قبل فوات الأوان.. وما أوجع هذا التذكير وهذا التأنيب في ذلك الموقف المرهوب العصيب! والآن- وقد سقط عنهم غشاء الخداع والضلال- يعرفون أن المتجه لله وحده فيتجهون توجه الذليل اليائس البائس.. (**رَبَّنَا**).. وقد كانوا يكفرون وينكرون. أحييتنا أول مرة، ثم أحييتنا الأخرى بعد موتنا، فجئنا إليك. وإنك لقادر على إخراجنا مما نحن فيه. وقد اعترفنا بذنوبنا. (**فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ**). بهذا التنكير الموحي باللهفة واليأس المرير. هنا- في ظل هذا الموقف البائس- يجيبهم بسبب هذا المصير، فهذا هو الذي يقودكم إلى ذلك الموقف الذليل. إيمانكم بالشركاء، وكفركم بالوحدانية، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ * قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ * ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا...**﴾ [غافر: ١٠ - ١٣].

أولاً: المناسبة

بعد بيان أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله، بيّن الله تعالى أنهم يوم القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي ينزل بهم، ويسألون الرجوع إلى الدنيا، ليتلافوا ما فرط منهم[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**لَمَقْتُ**: المقت أشد البغض[٢].

---

(١) انظر: نظم الدرر (١٧/ ١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٣٢).

٢-**أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ**: المراد بالموتة الأولى ما كان بعد حياة الذر في صلب آدم عليه السلام حيًاستخرجهم وقال: **ألست بربكم** [الأعراف: ١٧٢]، وعلى هذا التقدير حصل حياتان وموتتان أما الموتة الثانية فحاصلة عند انقضاء الآجال[١].

٣-**وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**: الإحياءة الأولى وإحياءة البعث[٢].

٤-**فَالْحُكْمُ لِلَّهِ**: القضاء لله في تعذيبكم بالعذاب السرمدي[٣].

ثالثاً: البلاغة

١-**فَهَلْ إلى خُرُوجٍ**: استفهام يراد به التمني، وأنهم يعلمون أنهم لا يخرجون[٤].

٢-**ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا**: بينهما مقابلة، قابل بين التوحيد والشرك، والكفر والإيمان[٥].

رابعاً: الإعراب ومعانيه

لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ: مبتدأ وخبر، واللام لام الابتداء، وقعت بعد يُنادَوْنَ لأنها في معنى: يقال لهم[٦].

إِذْ تُدْعَوْنَ: **﴿إِذْ﴾**: ظرف زمان، وعامله: إما: **﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾** أو **﴿مَقْتِكُمْ﴾** أو **﴿تُدْعَوْنَ﴾** أو فعل مقدر، تقديره: مقتكم إذ تدعون، أي حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم، وقيل: تقديره: اذكروا إذ تدعون[٧].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٣/٣٧٧)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٩).

(٢) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص: ٤٥).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤١٠).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٥٦).

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين (٢٥/ ١٥٧).

(٦) إعراب القرآن، للنحاس (٤/ ٢١).

(٧) عناية القاضي وكفاية الراضي، للشهاب الخفاجي (٧/ ٣٦٠).

خامساً: التفسير الإجمالي

تنادي الملائكة الكافرين يوم القيامة، وهم يعذبون في نار جهنم، فيمقتون أنفسهم، ويبغضونها غاية البغض، بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلى النار، قائلين لهم: أيها المعذّبون أنفسهم في هذه الحالة، إن بغض الله لكم حين عرض عليكم الإيمان في الدنيا من طريق الأنبياء، فتركتموه وكفرتم وأبيتم قبوله، أشد من بغضكم أنفسكم حين عاينتم عذاب النار يوم القيامة، ففي الآية حذف وتقديم وتأخير، أي لمقت الله إياكم حال ما تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم(١).

فيجيبون: اعترفنا بذنوبنا التي ارتكبناها في الدنيا، من تكذيب الرسل، والإشراك بالله وترك توحيده، وإنكار البعث، ولكنه اعتراف وندم في وقت لا ينفعهم فيه الندم، فهل لنا طريق إلى الخروج من النار والرجوع إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل؟ كما قال تعالى في آية أخرى: **﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَسَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}** [السجدة: ١٢] وقال سبحانه: **{وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}** [الأنعام: ٢٧] وقال ﷻ : **{رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنَّا ظالِمُونَ قالَ: اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ﴾** [المؤمنون: ١٠٨](٢).

فأجيبوا بالرفض مع بيان السبب، فقال تعالى:**(ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا، فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ)** أي أنتم هكذا على وضعكم، وإن رددتم إلى الدار الدنيا: **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ﴾** [الأنعام: ٢٨] فلا رجعة لكم، وتظلمون في العذاب، بسبب أنكم كنتم إذا دعي الله وحده دون غيره في الدنيا، كفرتم به وتركتم توحيده باستمرار، وإن يشرك به غيره من الأصنام أو غيرها، تؤمنوا بالإشراك به وتجيبوا الداعي إليه(٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٧)، جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٣٢)، التيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي (٣٧٨/٥).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٦٢)، الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥٥).

والحكم لله وحده دون غيره، ولا يحكم إلا بالحق وبمقتضى الحكمة، وهو المتعالي عن المماثل في ذاته وصفاته، والأكبر من أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك[١].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إن الله تعالى يحب الخير لعباده ويكره الكفر والشر لهم، لذا كان مقته وبغضه للكفار في وقت تعذيبهم بالنار أشد من بغضهم أنفسهم في ذلك الوقت، لأنها أوبقتهم في المعاصي[٢].

٢. احتج أكثر العلماء بآية: **(رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)** في إثبات عذاب القبر، بناء على أنهم أميتوا في الدنيا، ثم أحياهم في القبور للسؤال، ثم أميتوا ثم أحيوا في الآخرة. وإنما جنح إلى هذا التفسير، لأن لفظ الميت لا ينطلق في العرف على النطفة. ولو كان الثواب والعقاب للروح دون الجسد فما معنى الإحياء والإماتة؟. كذلك تدل هذه الآية على حصول الحياة في القبر[٣].

٣. يعترف الكفار بذنوبهم واستحقاقهم العقاب يوم القيامة، ويندمون على ذلك، لكن لا ينفعهم فيه الندم والاعتراف. ويطلب الكفار الرجوع إلى الدنيا للإيمان والطاعة، ولكن لا رجعة لهم[٤].

٤. إن تعذيب الكفار بسبب إعراضهم عن الإيمان بالله وبالبعث وبالرسل في الدنيا التي هي دار التكليف والعمل، وتركهم التوحيد، واختيارهم الشرك والمعاصي[٥].

٥. قوله: الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، دلالة على الكبرياء والعظمة[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٦٢)، بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٠).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٥/ ١٤٦).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩٤)، حجج القرآن، لابن المختار الرازي (ص: ٧٨).

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ١٩٩)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٧٠).

(٥) التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٦).

(٦)الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥٥).

المطلب الثاني: الآيات الدالة على قدرة الله الباهرة في مخلوقاته

آيات الله ترى في كل شيء في هذا الوجود. في الظواهر الكبيرة من شمس وكواكب، وليل ونهار، ومطر وبرق ورعد.. وفي الدقائق الصغيرة من الذرة والخلية والورقة والزهرة.. وفي كل منها آية خارقة، تتبدى عظمتها حين يحاول الإنسان أن يقلدها وهيهات هيهات التقليد الكامل الدقيق، لأصغر وأبسط ما أبدعته يد الله في هذا الوجود.

والرزق في السماء كثير، لا يقتصر على المطر، وإن كان المطر أصلاً للحياة على هذه الأرض، وسبباً في الطعام والشراب. فهذه الأشعة المحيية التي لولاها ما كانت حياة على هذا الكوكب الأرضي. ولعل من هذا الرزق تلك الرسالات المنزلة، التي قادت خطى البشرية نحو الطريق المستقيم، وهدتها إلى مناهج الحياة الموصولة بالله. والمنيب إلى ربه يتذكر نعمه ويتذكر فضله ويتذكر آياته التي ينساها غلاظ القلوب. وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾** [غافر: ١٣].

أولاً: المناسبة

بعد ذكر ما يوجب التهديد الشديد للمشركين، ذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته، بإظهار البيّنات والآيات، وإنزال الرزق من السماء[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ:** دلائل قدرته وتوحيده[٢].

٢-**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً:** أسباب الرزق وهو المطر[٣].

٣-**وَما يَتَذَكَّرُ:** يتعظ بالآيات المستقرة في الفطر والعقول[٤].

---

(١) انظر: نظم الدرر (١٧/ ٢١).

(٢) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (٤/ ١٢٧).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٨).

(٤) الوجيز، للواحدي (ص: ٩٤٢).

٤-**إِلَّا مَنْ يُنِيبُ**: يرجع عن الشرك[١].

ثالثاً: البلاغة

١-**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً**: مجاز مرسل، أطلق الرزق الذي هو مسبب وأراد المطر الذي هو سبب في الأرزاق[٢].

رابعاً: التفسير الإجمالي

الله تعالى هو الذي يظهر لكم دلائل توحيده وعلامات قدرته، بما أودع في سمائه وأرضه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها، وهو سبحانه الذي ينزل لكم المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه، مع أنه من ماء واحد وتراب واحد، مما يدل على قدرته وعظمة صنعه، ولكن ما يتعظ ويعتبر بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع إلى ربه، بالتأمل والتفكر والنظر في آيات الله، ثم بالطاعة والإذعان إليه[٣].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. أقام الله تعالى آيات وأدلة كثيرة على وجوده وتوحيده وقدرته وحكمته، ومنها هنا آيات السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا، ومنها إنزال الرزق بإنزال المطر سبب الحياة والبركة والخير[٤].

٢. يلاحظ أنه جمع في هذه الآية بين رعاية مصالح الأديان ومصالح الأبدان، لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبإنزال الرزق من السماء قوام الأبدان[٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٨).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمين (٢٥/ ١٥٨).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٧)، زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٢).

(٤) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥٦).

(٥) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩٧).

٣. لا يتعظ بهذه الآيات، فيوحد الله إلا من ينيب ويرجع إلى طاعة الله، والمعنى: إنّ لمس وإدراك دلائل توحيد الله كالشيء المستقر في العقول، والاشتغال بالشرك وبعبادة غير الله مانع يحجب أنوار العقل والفكر، فإذا تخلى العبد عن الشرك، وأناب إلى الله، زال الغطاء، واستنار القلب، فحصل الفوز التام، وظهرت سبيل النجاة[١].

المطلب الثالث: إخلاص العباد لله

يوجه الله المؤمنين في هذا المقام إلى التوجه إليه بالدعاء، موحدين، مخلصين له الدين، ولن يرضى الكافرون من المؤمنين أن يخلصوا دينهم لله، وأن يدعوه وحده دون سواه. ولا أمل في أن يرضوا عن هذا مهما لاطفهم المؤمنون أو هادنوهم أو تلمسوا رضاهم بشتى الأساليب. فليمض المؤمنون في وجهتهم، يدعون ربهم وحده، ويخلصون له عقيدتهم، ويصغون له قلوبهم. ولا عليهم رَضِيَ الكافرون أم سخطوا، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [غافر: ١٤].

أولاً: المعاني اللغوية

١-**فَادْعُوا اللَّهَ**: اعبدوه.

ثانياً: التفسير الإجمالي

لما قرر الله تعالى ما يوجب توحيده، صرح بالمطلوب وهو الإقبال بالكلية على الله تعالى، والإعراض عن غير الله، فقال: **﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**، أي فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم، ولو كره الكافرون منهجكم ذلك، فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم.

ثالثاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لله ﷻ ، والآية شاملة لدعاء العبادة ودعاء المسألة، أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه [٢].

---

(١) بيان المعاني، لعبد القادر ملا حويش (٣/ ٥٧٣).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٠)، تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٣٤).

٢. من الإخلاص في الدعاء ألا ترى الإجابة إلا منه، وألا ترى لنفسك استحقاقا إلا بفضله، وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك- الذي هو حظك- لا تبق عن عبادة ربك- التي هي حقه فإن الدعاء مخ العبادة[١].

المطلب الرابع: مشاهد من يوم القيامة

الله وحده صاحب المقام العالي، وهو صاحب العرش، المسيطر المستعلي. وهو الذي يلقي أمره المحيي للأرواح والقلوب على من يختاره من عباده. والوظيفة البارزة لمن يختاره الله من عباده فيلقي عليه الروح من أمره، هي الإنذار: (**لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**).. وفي هذا اليوم تتلاقى الخلائق كلها بربها في ساعة الحساب فهو يوم التلاقي بكل معاني التلاقي.

ثم هو اليوم الذي يبرزون فيه بلا ساتر ولا واق ولا تزييف ولا خداع، والله لا يخفى عليه منهم شيء في كل وقت وفي كل حال.. وينطلق صوت جليل رهيب يسأل ويجيب فما في الوجود كله يومئذ من سائل غيره ولا مجيب: (**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**).. (**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**)، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ* وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [غافر: ١٥ - ٢٠].

أولاً: المناسبة

بعد ذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته، بإظهار البيّنات والآيات، وإنزال الرزق من السماء، أتبعها بذكر حكمته في إلقاء الوحي على من يشاء من عباده، لإنذار الناس بالعذاب يوم الحساب[٢].

---

(١) لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٢٩٩).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٢٦).

وبعد بيان كون الأنبياء ينذرون الناس يوم التلاق، أتى بأوصاف هائلة رهيبة أخرى ليوم القيامة، لتخويف الكفار بعذاب الآخرة، ثم خوفهم بعذاب الدنيا المماثل لإهلاك الأمم السـابقة الذين كذبوا الرسل[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**رَفِيعُ الدَّرَجاتِ:** عظيم الصفات، المنزه عن مشابهة المخلوقات[٢].

٢-**يُلْقِي الرُّوحَ:** الوحي سمي روحا، لأنه كالروح للجسد[٣].

٣-**مِنْ أَمْرِهِ:** من قضائه، وقيل من قوله[٤].

٤-**يَوْمَ التَّلاقِ:** يوم اجتماع وتلاقي الخلائق للحساب أمام الله[٥].

٥-**بارِزُونَ:** ظاهرون لا يسترهم شيء، أو خارجون من قبورهم[٦].

٦-**سَرِيعُ الْحِسابِ:** يحاسب جميع الخلق في آن واحد[٧].

٧-**يَوْمَ الْآزِفَةِ:** يوم القيامة، سميت بها لأزوفها، أي قربها، يقال: أزف الرحيل يأزف أزفا: قرب[٨].

٨-**الْحَناجِرِ:** جمع حنجرة، أي: الحلوق، كحلقوم لفظاً ومعنى[٩].

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٣٠، ٣١).

(٢) إعجاز القرآن، للباقلاني (ص: ١٩٩)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٨).

(٤) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٨).

(٥) التفسير الواضح، لمحمد حجازي (٣/ ٢٩٣).

(٦) جامع البيان، للإيجي (٤/ ٩).

(٧) من روائع القرآن، للبوطي (ص: ٢٥٣).

(٨) تفسير مجاهد (ص: ٥٨٢).

(٩) السراج المنير، للخطيب الشربيني(٣/ ٤٧٦).

٩-**كاظِمِينَ:** ممتلئين غماً[١].

١٠-**حَمِيمٍ قريب:** أي قريب نافع أو محب[٢].

١١-**خائِنَةَ الْأَعْيُنِ:** أي النظرة الخائنة، كالنظرة الثانية إلى الحرام، واسترق النظر إليه[٣].

١٢-**تُخْفِي الصُّدُورُ:** القلوب، أي ما تكتمه الضمائر[٤].

١٣-**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ:** يعبدون، أي كفار مكة.

ثالثاً: البلاغة

١-**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ:** الرُّوحَ كناية عن الوحي، لأنه كالروح للجسد، وفيه إشارة إلى علوه سبحانه وتعالى فيما يلقي، فهو الأعلى[٥].

٢-**ما لِلظَّالِمِينَ:** أي الكفار، فيه وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بهم، وإنه لظلمهم[٦].

٣-**مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ:** تهكم بالأصنام، لأن الجماد لا يقال فيه: إنه يقضي، فكيف يكونون شركاء لله؟[٧].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٥٧).

(٢) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٩).

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي (٥/ ٥٠٩).

(٤) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٥٠).

(٥) روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٣٠٨).

(٦) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٤).

(٧) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٥٩).

رابعاً: الإعراب ومعانيه

يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ: يَوْمَ: بدل منصوب من قوله **﴿يَوْمَ التَّلاقِ﴾** وهذا منصوب على أنه مفعول به لفعل: **﴿ينذر﴾**، لا الظرف، لأن الإنذار لا يكون في يوم التلاق، وإنما يكون الإنـــــــذار به، لا فيه.

﴿وهُمْ بارِزُونَ﴾: جملة اسمية في موضع جر بإضافة يَوْمَ إليها[١].

لِمَنِ الْمُلْكُ اليوم: مبتدأ وخبر، و﴿الْيَوْمَ﴾ منصوب متعلق بمدلول قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ﴾ أي لمن استقر الملك في هذا اليوم، أو متعلق بنفس ﴿الْمُلْكُ﴾. أو يوقف على ﴿الْمُلْكُ﴾، ويبتدأ: اليوم ﴿لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي هو مستقر لله الواحد القهار في هذا اليوم[٢].

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ: إِذِ بدل من يَوْمَ الْآزِفَةِ الذي هو مفعول به لـ(أَنْذِرْهُمْ) لا ظرف، لأن الإنذار لا يكون يوم الآزفة[٣].

خامساً: التفسير الإجمالي

ثلاث صفات أخرى من صفات الجلال والعظمة، يقول تعالى: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ﴾**، أي هو الذي يريكم آياته، وهو رفيع الصفات، وهو صاحب العرش ومالكه وخالقه والمتصرف فيه، وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه، وهو الذي ينزل الوحي على من يريد من عباده الذين يختارهم لرسالته وتبليغ أحكامه، وهم الأنبياء، ليقوموا بإنذار الناس بالعذاب يوم يلتقي أهل السموات والأرض في المحشر، ويلتقي الأولون والآخرون[٤].

وسمي الوحي روحاً، لأن الناس يحيون به من موت الكفر، كما تحيى الأبدان بالأرواح. والمراد بقوله: **﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾** أي من شرائعه التي يوحي بها إلى أنبيائه ليمتثلوا ويسيروا في حياتهم

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢/ ١١١٧).

(٢) أنوار التنزيل، للبيضاوي (١/ ٢٨).

(٣) الجدول في إعراب القرآن، لمحمود صافي (٢٤/ ٢٣٣).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩٧)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٢٩٨).

بموجبها. ونظائر الآية كثيرة، مثل قوله تعالى: **﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾** [النحل: ٢] ونحو قوله سبحانه: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾** [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥][١].

ومن صفات يوم القيامة أيضا ما يأتي: **﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾** أي إن يوم التلاق هو اليوم الذي هم فيه ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء، لاستواء الأرض، وهم خارجون من قبورهم في العراء، لا يخفى على الله شيء من أعمال العباد التي عملوها في الدنيا، سرا أو علانية، كما في آية أخرى: **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٨][٢].

ويكون فيه الملك المطلق والسلطان الشامل لله الواحد الأحد، القاهر عباده وكل شيء بقدرته، قهرهم بالموت، ثم بالبعث الشامل. وقد أورد هذا المعنى لتقريره في الأذهان بصورة سؤال يسأل فيه الرب تعالى، يقول: **﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾**؟ أي يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه، فيقول: **لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ** [٣].

ثم ذكر تعالى صفة خامسة وسادسة ليوم القيامة، تبينان صفات عدل الله في حكمه بين خلقه، وفضله ورحمته، فقال: **﴿الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾** أي إن يوم القيامة هذا هو يوم الجزاء وثواب كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا ظلم في الحكم فيه على أحد، بنقص من ثوابه أو بزيادة في عقابه، وإن الله سريع حسابه لعباده على أعمالهم في الدنيا، فيحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال تعالى: **﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾** [لقمان: ٢٨] وقال: **﴿وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾** [القمر: ٥٠] ولأنه تعالى لا يحتاج إلى تفكر، ويحيط علمه بكل شيء، فلا يغيب عنه مثقال ذرة[٤].

---

(١) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٥٥٠/٤).

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٢)، الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٧٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٠٩)، جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٦٦).

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠١)، لطائف الإشارات، للقشيري(٣/ ٣٠١).

ويأمر الله عز و جل الرسول بتخويف الكفار من يوم القيامة، ليؤمنوا ويقلعوا عن الشرك، ذلك اليوم الذي لكأن القلوب تزول من مواضعها من الخوف، وترتفع حتى تصير إلى الحلوق، حال كون أصحابها مكروبين ممتلئين غما، وليس لهم قريب ينفعهم، ولا شفيع مشفع تقبل شفاعته لهم[١].

ثم يخبر تعالى بشمول علمه وضبطه ودقته، بأنه يعلم النظرة الخائنة التي ينظرها العبد إلى المحرّم، ويعلم ما تسرّه الضمائر من أمور خيّرة أو شريرة، حتى حديث النفس أو خواطر النفس. وهذا يعني أن علم الله تام محيط بجميع الأشياء جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، دقيقها ولطيفها، ليحذر الناس علمه فيهم، فيستحيوا من الله حق الحياء، ويتقوه حق تقواه، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة، وإن أبدت أمانة، ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر، أي مضمرات القلوب[٢].

والله ﷻ يحكم بالحكم العادل، فيجازي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، ويجازي كل أحد بما يستحقه من خير أو شر، والذين يعبدونه من الأصنام من غير الله، لا يتمكنون من القضاء بشيء، ولا يملكون شيئا، لأنهم لا يعلمون شيئا، ولا يقدرون على شيء، فالذي تجب عبادته هو القادر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، فإن الله سميع لأقوال خلقه، بصير بأفعالهم، فيجازيهم عليه يوم القيامة[٣].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. لله ثلاث صفات أخرى من صفات الجلال والعظمة، وهي: كونه رفيع الصفات، خالق العرش ومدبره ومالكه، منزل الوحي والنبوة على من يشاء من عباده. وسمي الوحي روحا، لأن الناس يحيون به من موت الكفر، كما تحيا الأبدان بالأرواح[٤].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (٤/ ٥٥٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (٥٠٥/٢٧).

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٣)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٣٧).

(٣) انظر: البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٤٨)، جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي (١١/٤).

(٤) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٢)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٤٩٧).

٢. ما على العباد أمام هذه الصفات العليا إلا عبادة الله وحده لا شريك له، مخلصين له العبادة والطاعة، حتى ولو كره الكافرون عبادة الله، فلا تعبدوا أيها المؤمنون غيره[١].

٣. إنما يبعث الله الرسل لإنذار يوم البعث يوم تلاقي الخلائق جميعهم في أرض المحشر، ويوم يكونون ظاهرين في صعيد واحد، لا يسترهم شيء، لاستواء الأرض، وذلك اليوم لا يخفى على الله شيء من العباد ومن أعمالهم، وهو اليوم الذي يظهر فيه السلطان المطلق والملك التام لله الواحد القهار[٢].

٤. من صفات ذلك اليوم: أن تجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر، وأنه لا ظلم فيه، فلا ينقص أحد شيئاً من عمله، وإن الله سريع الحساب، فلا يحتاج إلى تفكر واستدلال، لأنه تعالى العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء، فلا يؤخر جزاء أحد للاشتغال بغيره، وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة[٣].

٥. التخويف من عذاب النار، وقد ذكر الله تعالى ثمانية أسباب موجبة للخوف وهي:

أ- أنه سمى ذلك اليوم يوم الآزفة، أي يوم القرب من العذاب لمن أذنب

ب- أنه بلغ ذلك الخوف إلى أن زال القلب من الصدر وارتفع إلى الحنجرة.

ج- لا يمكنهم أن ينطقوا لشدة ما اعتراهم من الحزن والخوف، وذلك يوجب القلق والاضطراب.

د- ليس لهم قريب ينفعهم، ولا شفيع يطاع فيهم، فتقبل شفاعته.

هـ- أنه سبحانه عالم بكل شيء صغير أو كبير، دقيق أو جليل، وهذا يوجب شدة الخوف.

و- الله يقضي بالحق المطلق والعدل التام، وهذا أيضاً يوجب عظم الخوف.

---

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١٠٨)، لباب التأويل، للخازن (٤/ ٧٠).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥١٢)، غرائب القرآن، للنيسابوري (٦/ ٢٨).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٥٨)، التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٢/ ١٢١٦).

ز- لا فائدة مما عول عليه المشركون من شفاعة الأصنام، فهم لا يقضون بشيء.

ح- إن الله يسمع من الكفار ثناءهم على الأصنام ونحوها من المعبودات الباطلة، ويبصر خضوعهم وسجودهم لها.[1]

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٠٣)، البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٤٦).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (٢١-٤٠)

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٢١-٢٧)

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٢٨-٤٠)

المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر

من الآية (٢١-٢٧)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عاقبة الظلم والكفر

المطلب الثاني: معجزات سيدنا موسى عليه السلام

المطلب الثالث: استكبار وظلم فرعون وهامان وقارون

المطلب الأول: عاقبة الظلم والكفر.

تذكير للمجادلين في آيات الله من مشركي العرب بعبرة التاريخ قبلهم ويوجههم إلى السير في الأرض، ورؤية مصارع الغابرين، الذين وقفوا موقفهم، وكانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض ولكنهم- مع هذه القوة والعمارة- كانوا ضعافاً أمام بأس الله، إذ لا واقي منه إلا الإيمان والعمل الصالح والوقوف في جبهة الإيمان والحق والصلاح، فأما التكذيب بالرسل وبالبينات فنهايته إلى الدمار والنكال: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [غافر: ٢١، ٢٢].

أولاً: المناسبة

بعد بيان الأوصاف الرهيبة ليوم القيامة، لتخويف الكفار بعذاب الآخرة، خوفهم بعذاب الدنيا المماثل لإهلاك الأمم السابقة الذين كذبوا الرسل(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**: قدرة وتمكناً(٢).

٢-**وَآثاراً فِي الْأَرْضِ**: من قلاع ومصانع وقصور ومدائن حصينة(٣).

٣-**فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ**: أهلكهم، ودمر عليهم(٤).

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٤٤).

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٥٠).

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٣٨)..

٤-**واقٍ**: حافظ يدفع عنهم السوء أو العذاب[١].

ثالثاً: البلاغة

١-**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**: استفهام إنكاري[٢].

١. ختم الله ﷻ الكلام بقوله: **﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** مبالغة في التحذير والتخويف[٣].

رابعاً: الإعراب ومعانيه

فَيَنْظُرُوا: إما منصوب على جواب الاستفهام بالفاء بتقدير (أن)، أو مجزوم عطفا على يَسِيرُوا[٤].

عاقِبَةُ: اسم كان المرفوع، ويجوز جعل كانَ تامة، فلا تحتاج إلى خبر، فيكون كَيْفَ ظرفا ملغى لا ضمير فيه[٥].

خامساً: التفسير الإجمالي

أفلم يمش هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد، فينظروا مآل حال الذين مضوا من الكفار المكذبين بالأنبياء، وما حل بهم من العذاب والنكال، مع أنهم كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من كفار مكة وأمثالهم، وأبقى آثارا في الأرض، بما عمروا فيها من الحصون والقصور، وأقاموا من المدن والحضارات[٦].

فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وما كان لهم من دافع يدفع عنهم العذاب، وللكافرين أمثالها. وهذا تحذير واضح للكافرين في كل زمان بما حل بالأمم الغابرة، ونظير بعض

---

(١) تفسير المراغي (٢٤/ ٥٨).

(٢) إعراب القرآن، للدعاس (٣/ ١٥٣).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٠٥).

(٤) إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش (٥/ ٦٨).

(٥) الموسوعة القرآنية، للإبياري (٤/ ٣٨٧).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٣٨)، صفوة التفاسير، للصابوني (٣/ ٩٠).

الآية: قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**﴾ [الأحقاف: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿**وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها**﴾ [الروم: ٩][١].

ثم ذكر الله تعالى علة إهلاكهم وتدميرهم، وهو أن رسلهم كانوا يأتونهم بالحجج الواضحة على الإيمان الحق، فيكفرون بما جاءوهم به، فأهلكهم الله ودمّر عليهم، إن الله ذو قوة عظيمة وبطش شديد، يفعل كل ما يريده، لا يعجزه شيء، وعقابه أليم شديد موجع لكل من عصاه، فيا أيها الكفار والعصاة اعتبروا واتعظوا بغيركم، فالسعيد من وعظ بغيره[٢].

سادساً: تحقيق المقاصد والأهداف

٢. أمام الكفار المكذبين للحق، نماذج وألوان من عذاب الأمم القديمة المكذبة رسلها، وقد نزل بهم العذاب لأجل أنهم كفروا وكذبوا الرسل، وهؤلاء الحاضرون يشاهدون آثار دمارهم وهلاكهم، والله يحذر الكفار في كل زمان ومكان أن يفعلوا مثل أفعال أولئك الماضين[٣].

٣. يشترك الأنبياء في أمور هي تأييدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وإعراض أقوامهم عنهم، واتهامهم بالكذب والتمويه والسحر، والتهديد بالطرد والتشريد أو القتل والتعذيب، ولكن النصر في النهاية للأنبياء والمؤمنين[٤].

المطلب الثاني: معجزات سيدنا موسى عليه السلام.

عرض لنموذج من نماذج الذين كانوا قبل مشركي العرب، الذين أخذهم الله بذنوبهم، ويبدأ العرض بموقف اللقاء الأول، موسى ومعه آيات الله، ومعه الهيبة المستمدة من الحق الذي بيده، وفرعون وهامان وقارون، ومعهم باطلهم الزائف وقوتهم الظاهرة ومركزهم الذي يخافون عليه من مواجهة الحق ذي السلطان.. عندئذ لجئوا إلى الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق، ويجمل

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٧١)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٩/ ١٦).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤١٩)، مفاتيح الغيب، للرازي (٢٥/ ٨٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٣٦)، أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٥٢٤).

(٤) انظر: لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٣٠٤)، الجواهر الحسان، للثعالبي (٥/ ١١١).

السياق تفصيل ما حدث بعد هذا الجدال، ليعقب ببيان منطق الطغيان الغليظ، كلما أعوزته الحجة، وخذله البرهان، وخاف أن يستعلي الحق، بما فيه من قوة وفصاحة ووضوح، وهو يخاطب الفطرة فتصغي له وتستجيب، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٥].

أولاً: المناسبة

لما سلّى الله تعالى رسوله بذكر عاقبة الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم، سَلاّهُ أيضاً بذكر قصة موسى عليه السلام التي دلت على أنه مع قوة معجزاته، كذبه فرعون وهامان وقارون، وقالوا عنه: هو ساحر كذاب، ولكن في النهاية انتصر عليهم، وتلك بشارة لنبينا ﷺ بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**بِالْبَيِّنَاتِ**: بالمعجزات الظاهرات والأحكام الواضحة[٢].

٢-**وَسُلْطَانٍ**: حجة وبرهان[٣].

٣-**مُبِينٍ**: ظاهر واضح[٤].

٤-**وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**: استبقوهم أحياء للخدمة[٥].

٥-**وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ**: ضياع وذهاب[٦].

---

(١) انظر: نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٤٨).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ١٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص: ٢٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ٣٧٠).

(٥) مدارك التنزيل، للنسفي(٣/ ٢٠٦).

(٦) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٦٠).

ثالثاً: البلاغة

١-**وَما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ**: فيه وضع الظاهر وهو الْكافِرِينَ موضع الضمير أي كيدهم لتعميم الحكم والدلالة على العلة وهي الكفر(١).

٢-**بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**: العطف بين الآيات والسلطان لتغاير الوصفين فِرْعَوْنَ ملك مصر وَهامانَ وزير فرعون وَقارُونَ كان ثريا(٢).

رابعاً: التفسير الإجمالي

أرسل الله تعالى موسى بالمعجزات كاليد والعصا، وبحجة بينة واضحة وبرهان قوي، إلى فرعون ملك مصر، وهامان وزيره، وقارون أغنى أهل زمانه، فقالوا عنه: إنه ساحر مخادع مجنون مموه، كذاب فيما زعم أن الله أرسله، كما قال تعالى: ﴿**كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ**﴾ [الذاريات: ٥٢- ٥٣](٣).

وخص هؤلاء الطغاة بالذكر، لأنهم رؤساء المكذبين بموسى، وغيرهم تابع لهم. وشأن الجبابرة عدم الإصغاء للحجة والمنطق واللجوء إلى القوة، فقالوا: عودوا إلى قتل الذكور وترك النساء، لئلا يكثر جمعهم، ولكي يضعف شأنهم. وهذه هي المرة الثانية بالأمر بذلك بعد بعثة موسى، وكانت المرة الأولى قبل ولادة موسى، لأجل تفادي وجوده، ولإذلال بني إسرائيل، ولتقليل عددهم، لئلا ينصروا عليهم. ولكن الله تعالى أحبط كيدهم وأفشل خطتهم، وكما أفشله في المرة الأولى، سيفشله في الثانية، وسيكون النصر للمؤمنين(٤).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. إيذاء الأقوام الكافرين لرسلهم، فقد قيل عن موسى عليه السلام: "ساحِرٌ كَذَّابٌ"، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ، ومن معه على الحق، في كل زمان ومكان.

---

(١) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٧٢)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٨/ ١٩٦).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٥/ ٣٠٧٧)، القرآن ونقض مطاعن الرهبان، لصلاح الخالدي (٦٣/١).

٢. تحقق نصر الله تعالى لموسى عليه السلام، وإحباطه مكائد فرعون وقومه، وجعل مكرهم في خسران وضياع، فإن الناس لا يمتنعون من الإيمان، وإن فعل بهم مثلما فعل فرعون أو أشد[١].

المطلب الثالث: استكبار وظلم فرعون وهامان وقارون.

لفرعون فيما يبدو رأي آخر، أو اقتراح إضافي في أثناء التآمر، ذلك أن يتخلص من موسى نفسه فيستريح! ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى: (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله- عليه السلام- هذا القول. ولا يجد موسى- عليه السلام أمام ذلك كله إلا أن يلتجئ إلى الركن الركين والحصن الحصين، ويلوذ بالجناب الذي يحمي اللائذين، ويجير المستجيرين، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾** [غافر: ٢٦، ٢٧].

أولاً: المعاني اللغوية

١-**إِنِّي عُذْتُ**: استجرت واستعنت[٢].

٢-**مُتَكَبِّرٍ**: من لم يذعن للحق[٣].

ثانياً: البلاغة

١-**إِنِّي عُذْتُ**: بدأ بـ(إن) للتأكيد والدلالة على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله[٤].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٦٠). التفسير الواضح، لمحمد حجازي (٣/ ٣٠٠).

(٢) تفسير المراغي (٢٤/ ٦٢).

(٣) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٦١).

(٤) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٥).

٢-**بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ:** خص اسم الرب، لأن المطلوب هو الحفظ والتربية، وقوله: وَرَبِّكُمْ للحث على الاقتداء به، فيتعوذوا بالله مثله ويعتصموا بالتوكل عليه مثله[١].

٣-**مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ:** لم يسم فرعون، وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة بحيث تشمل فرعون وغيره من الجبابرة، ولاستخدام طريقة التعريض التي هي أبلغ[٢].

٤-**لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ:** ذكر هذا لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، استكمل وصف القسوة والجرأة على الله وعلى عباده[٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي

عزم القوم على تجديد مأساة القتل الجماعي، ولكن فرعون زاد في هذه المرة العزم على قتل موسى، فقال لقومه: دعوني أقتل موسى، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك، ولا أبالي به. وهذا في الظاهر استهانة بدعاء رب موسى، وفي الباطن كان يرتعد من دعائه، فقوله: وَلْيَدْعُ رَبَّهُ شاهد صدق على فرط خوفه منه[٤].

وسبب القتل الخشية من أن يغير منهاج دينكم الذي أنتم عليه من عبادتي وعبادة الأصنام، ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده، أو أن يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، فتكثر الخصومات والمنازعات، وتثار القلاقل والاضطرابات. والمراد: إظهار الخوف من تبديل الدين أو إفساد أمر الدنيا.

وإذا كان فرعون اعتز بجبروته وقوته، فإن موسى عليه السلام اعتصم بالله، وقال: إني استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله من كل متعاظم متعال مستكبر عن الإذعان للحق، كافر مجرم لا يؤمن بالبعث والحساب والجزاء[٥].

---

(١) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٧٤).

(٢) البحر المديد، لابن عجيبة (٥/ ١٢٨).

(٣) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٢/ ٢٨١).

(٤) انظر: تفسير المراغي (٢٤/ ٦١)، التفسير الوسيط، لمجمع البحوث (٨/ ٦٢٨).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٠٧)، اللباب، لابن عادل الدمشقي (١٧/ ٣٧).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. استنبط الفخر الرازي من كلمات موسى ودعائه ثماني فوائد هي بإيجاز:

الأولى- إن قول موسى **إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ** مستخدما لفظة إِنِّي الدالة على التأكيد، للدلالة على أن الطريق المؤكد المفيد في دفع الشرور والآفات عن النفس، الاعتماد على الله، والتوكل على عصمة الله تعالى.

الثانية- الاستعاذة بالله تصون الإنسان من شياطين الإنس والجن، فإذا قال المسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساوس شياطين الجن، فكذلك إذا قال المسلم: أعوذ بالله، فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات.

الثالثة- قوله **﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾:** لما كان المولى ليس إلا الله، وجب ألا يرجع العاقل في دفع كل الآفات إلا إلى حفظ الله تعالى، فهو المربي والحافظ.

الرابعة- قوله **﴿وَرَبِّكُمْ﴾** فيه بعث أو حث لقوم موسى عليه السلام على أن يقتدوا به في الاستعاذة بالله.

الخامسة- لم يذكر موسى فرعون في دعائه، رعاية لحق تربيته له في الصغر.

السادسة- بالرغم من عزم فرعون على قتل موسى، فلا فائدة في الدعاء عليه بعينه، بل الأولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفا بصفة التكبر والكفر بالبعث، حتى يشمل كل من كان عدوا ظاهرا أو خفيا.تحقق نصر الله تعالى لموسى عليه السلام، وإحباطه مكائد فرعون وقومه، وجعل مكرهم في خسران وضياع، فإن الناس لا يمتنعون من الإيمان، وإن فعل بهم مثلما فعل فرعون أو أشد.

السابعة- إن الجرأة على إيذاء الناس أمران: أحدهما- كون الإنسان متكبرا قاسي القلب، والثاني- كونه منكرا للبعث والقيامة، وقد اتصف فرعون بالأمرين.

الثامنة- أجاب موسى عن استهزاء فرعون بقوله: وَلْيَدْعُ رَبَّهُ: بأن ما ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء هو الدين الحق، وأنا أدعو ربي، وأطلب منه أن يدفع شرك عني، وسترى كيف أن ربي يقهرك، وكيف يسلطني عليك، وهو رد قولي وفعلي.[1]

---

[1] مفاتيح الغيب (٢٧/٥٠٧-٥٠٨)

المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٢٨-٤٠)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: ظهور مؤمن آل فرعون

المطلب الثاني: هلاك فرعون وقومه ونجاة المؤمنين

المطلب الثالث: متاع الدنيا قليل زائل، والآخرة كثير دائم

المطلب الأول: ظهور مؤمن آل فرعون

انتدب رجل من آل فرعون، وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه، انتدب يدفع عن موسى، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى، ليوصل إلى قلوبهم النصيحة ويثير حساسيتها بالتخويف والإقناع، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٢٨ - ٣٥]**

أولاً: المناسبة

بعد أن حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام أنه ما زاد في دفع شر فرعون الذي عزم على قتله، على الاستعاذة بالله، أبان تعالى أنه قيّض له رجلا من آل فرعون يدافع عنه، لتسكين الفتنة وإزالة الشر(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١- **بِالْبَيِّنَاتِ:** بالمعجزات الظاهرات والبراهين الواضحات على وحدانية الله والدالة على صدقه(٢).

٢-**مُسْرِفٌ كَذَّابٌ:** المسرف: المقيم على المعاصي المكثر منها، والكذاب: المفتري(٣).

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٥٣).

(٢) تفسير الجلالين (ص: ٦٢١).

(٣) تفسير المراغي (٢٤/ ٦٣).

٣-**ظَاهِرِينَ**: غالبين عالين على بني إسرائيل[١].

٤-**بَأْسِ اللَّه**: عذاب الله إن قتلتم أولياءه[٢].

٥-**وَما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ**: ما أدلكم إلا على طريق الصواب[٣].

٦-**الْأَحْزابِ**: الأقوام الذين تحزّبوا على أنبيائهم وكذبوهم[٤].

٧-**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ**: مثل عادة وجزاء ما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل[٥].

٨-**يَوْمَ التَّنادِ**: يوم القيامة، ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة، ويكثر فيه نداء أصحاب الجنة وأصحاب النار وبالعكس، فينادى بالسعادة لأهل الجنة، وبالشقاوة لأهل النار وغير ذلك[٦].

٩-**مُدْبِرِينَ**: منصرفين عن موقف الحساب إلى النار[٧].

١٠-**عاصِمٍ**: مانع من عذابه[٨].

١١-**هَلَكَ**: مات[٩].

١٢-**مُرْتابٌ**: شاك فيما شهدت به البينات على وحدانية الله ووعده ووعيده[١٠].

---

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٤).
(٢) الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٧٤).
(٣) التفسير المظهري (٨/ ٢٥٤).
(٤) تفسير المراغي (٢٤/ ٦٦).
(٥) حدائق الروح والريحان، لمحمد الأمي (٢٥/ ١٧٥).
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤٢٦).
(٧) لباب التأويل، للخازن (٤/ ٧٣).
(٨) الجواهر الحسان، للثعالبي (٥/ ١١١).
(٩) بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٥).
(١٠) لباب التأويل، للخازن (٤/ ٧٣).

١٣-**سُلْطانٍ**: حجة قوية وبرهان ظاهر[١].

١٤-**مَقْتاً**: المقت: أشد البغض[٢].

١٥-**يَطْبَعُ اللَّهُ**: يختم الله بالضلال على قلوب المتجبرين[٣].

ثالثاً: البلاغة

١-**مِنْ رَبِّكُمْ**: نسب الرب إليهم استدراجا لهم إلى الاعتراف به[٤].

٢-**فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا**: أدرج -مؤمن من آل فرعون- نفسه في ضميري الفعلين لأنه كان قريبا لهم، وليريهم أنه معهم[٥].

٣-**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ**: فلا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام، وهو أبلغ من قوله: **وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** لأن المنفي فيه عدم تعلق إرادته بالظلم[٦].

رابعاً: التفسير الإجمالي

قال رجل من أقارب فرعون ورجال دولته: كيف تقتلون رجلا لا ذنب له إلا أن قال: الله ربي، والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والأدلة الدالة على نبوته وصحة رسالته وصدقه؟ فهذا لا يستدعي القتل، فتوقف فرعون عن قتله، بسبب صدقه في الدفاع[٧].

والحق أنه كان لهذه الكلمة: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ تأثير عظيم في نفس فرعون، وقد كررها أبو بكر في محاولة عقبة بن أبي معيط خنق رسول الله ﷺ، فعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: **سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص: ٧٣٧).

(٢) روح البيان، لإسماعيل حقي (٨/ ١٨١).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٣).

(٤) البحر المحيط، لابن حيان (٩/ ٢٥٣).

(٥) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٦).

(٦) السراج المنير، للخطيب الشربيني (٣/ ٤٨١).

(٧) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ١٠)، روح البيان، لإسماعيل حقي (٨/ ١٧٦)،

رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، " فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [1] .

ثم أورد مؤمن آل فرعون ست حجج أخرى مفصلة لتأييد رأيه، فقال تعالى:

١- إن كان هذا الرجل كاذباً في دعوته، كان وبال كذبه وإثمه عليه يجازيه الله في الدنيا والآخرة، فاتركوه، وإن كان صادقا في دعواه يصبكم بعض الذي يعدكم به إن خالفتموه من العقوبة الدنيوية والأخروية، فاتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه، والمراد أنه إذا لم يصبكم كل العذاب المتوعد به، فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، وفي بعض ذلك هلاككم[٢].

٢- لو كان موسى مسرفاً في قوله، متجاوزاً حده، كذاباً في دعواه النبوة، لما هداه الله إلى البينات، ولا أيده بالمعجزات، ولو كان كاذبا على الله، خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله[٣].

٣- قد أنعم الله عليكم بهذا الملك الواسع، وأنتم الغالبون العالون على بني إسرائيل في أرض مصر، فلكم الكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله وتصديق رسوله ﷺ، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله ﷺ، فمن الذي يمنعنا من عذاب الله إن حل بنا؟ ولا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء[٤].

٤- حذر هذا الرجل المؤمن الصالح قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة، فبدأ بتخويف العذاب الدنيوي، فقال: يا قومي، إني أخشى عليكم إن كذبتم موسى أن يصيبكم مثلما أصاب الأقوام الذين تحزبوا على أنبيائهم وكذبوا رسلهم من الأمم الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود ومن

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٠)، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب لو كنت متخذاً خليلاً، حديث رقم: ٣٦٧٨.

(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١١٠)، مدارك التنزيل، للنسفي (٣/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٦٣)، إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (٧/ ٢٧٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٧٤)، معالم التنزيل، للبغوي (٤/ ١١١).

بعدهم كقوم لوط، فقد حل بهم بأس الله، ولم يجدوا لهم ناصرا ينصرهم، ولا عاصما يحميهم. فقوله مِثْلَ دَأْبِ.. أي مثل حالهم في العذاب، أو مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب[1].

٥- يا قومي، إني أخشى عليكم عذاب يوم القيامة، حين ينادي بعضكم بعضا مستغيثا به من الأهوال، أو حين ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار، كما قال تعالى: ﴿**وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا: نَعَمْ**﴾ [الأعراف: ٤٤] وقال سبحانه: ﴿**وَنادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ**﴾ [الأعراف: ٤٨]. وقال ﷻ : ﴿**وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ٥٠][2].

٦- أذكركم بأن تكذيب الرسل موروث لديكم من الآباء والأجداد، فلقد بعث الله لكم أي لآبائكم يا أهل مصر رسولا من قبل موسى عليه السلام هو يوسف بن يعقوب، وجاءكم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه، والآيات الواضحات المبينة لدين الله وشرائعه، فكذبتموه وكذبتم من جاء بعده من الرسل، وما زلتم في شك من البينات ولم تؤمنوا به، حتى إذا مات أنكرتم بعثة رسول من بعده، فكفرتم به في حياته، وكفرتم بمن بعده من الرسل بعد موته، مما يدل على توارث التكذيب، واستمرار العناد في مواجهة الرسل، والكفر برسالاتهم، ومثل هذا الضلال وسوء الحال، يكون حال من يضله الله لإسرافه في المعاصي والاستكثار منها، وارتياب قلبه في دين الله، وشكه في وحدانية الله ووعده ووعيده[3].

وصفة هؤلاء المسرفين المرتابين أنهم يجادلون في آيات الله ليبطلوها، بغير حجة واضحة ولا دليل بيّن، ويحاربون الحق بالباطل، كبر ذلك الجدل بغضا عند الله والمؤمنين، لأنه جدال بالباطل لا أساس له، أما مقت الله فهو تعذيبه العصاة، وأما مقت المؤمنين فهو هجر الكفار وترك التعامل معهم، وكما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين المسرفين، فكذلك يطبع

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٦٣)، روح المعاني، للألوسي (١٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٥/ ١٥٤)، التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ١١).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٨٣)، تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٩/ ٢٧).

ويختم على جميع قلوب المتكبرين الجبارين، الذين يتكبرون على اتباع الحق، ويتجبرون على الضعفاء بالإذلال والتسخير، والإهانة والقتل بغير حق. [١].

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. لقد كان دفاع هذا الرجل المؤمن الصالح من آل فرعون في مجلس فرعون وسلطانه في غاية القوة والجرأة والعقل والمنطق، وهي مبادرة كريمة للعمل الصالح حتى مع وجود الأنبياء [٢].

٢. لا مسوغ لإنسان مهما كان أن يعتدي على الحرية الدينية ويصادرها، فكيف يصح أن يقتل رجل لا جرم له إلا أنه يقول: ربي الله؟[٣].

٣. لا عذر للناس في تكذيب الرسل والكفر بهم بعد أن يأتوهم بالمعجزات الباهرات والأدلة الواضحات على صدقهم[٤].

٤. عجبا من مكذبي الرسل فإن منطقهم أعوج وتفكيرهم أخرق، فإن الرسول إذا كان كاذباً فعليه وزر كذبه ولا يتضرر به من لا يتبعه، وإن كان صادقاً نفعهم صدقه، وسلموا من الآفات وألوان العذاب الذي يهدد به[٥].

٥. استخدم المؤمن هذا الأسلوب: **﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ..﴾** لا لشك منه في صحة رسالة موسى وصدقه، ولكن تلطفاً في الدفاع، وبعداً عن الأذى، وإظهار للتجرد والموضوعية[٦].

٦. إن الله تعالى لا يهدي أبداً إلى الحق أهل الإسراف في المعاصي والكذب، وإنه تعالى هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات الباهرة، ومن هداه الله إلى ذلك لا يكون مسرفا كذابا

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٨٤)، الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤٣٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب(٥/ ٣٠٧٩).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥٠٨).

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٦٢).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥/ ٣٠٧).

(٦) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي (٤/ ١٤).

هذا يدل على أن موسى عليه السلام ليس من الكاذبين[١].

٧. إن من المستغرب حقاً أن يخشى أصحاب السلطان والقهر المعتمدين على الجند أو الجيش أو العسكر المدجج بأنواع الأسلحة الفتاكة، من الأنبياء والرسل والقادة المصلحين الذين ليس لهم إلا البيان القوي، والحجة الهادفة، والكلمة المؤثرة. وما ذاك إلا لأن الحق فوق القوة وأثبت منها وأنفذ، لذا تهتز العروش بصوت الحق، ولا يتأثر أصحابها ببأس الأقوياء، وقوة الشجعان. فهذا فرعون الطاغية ملك مصر يحذر رجلا عاديا هو موسى عليه السلام لا سند له من قوة مادية أو سلاح أو عسكر[٢].

٨. تنويع التخويف، فقد خوف هذا الرجل المؤمن قومه بهلاك معجل في الدنيا، ثم خوفهم أيضاً بهلاك الآخرة بقوله: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ فاهتز قلب فرعون، وزاد هذا المؤمن في الوعظ والتخويف، بخوفه من عذاب يوم القيامة– يوم التناد، حيث ينادي الناس بعضهم بعضا للاستغاثة، وينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار[٣].

٩. أهمية التذكير بالماضي السحيق، والتحذير من بقاء قومه بالشك والإسراف، بسبب الجدال في حجج الله الظاهرة بغير حجة وبرهان، إما بناء على التقليد المجرد، وإما بناء على شبهات واهية، وهؤلاء المجادلون يغضب الله عليهم ويعذبهم في جهنم، ويبغضهم المؤمنون أشد البغض، وتصبح قلوبهم مغلقة لا ينفذ إليها الخير[٤].

١٠. ما أروع تلك الكلمات التي كان مؤمن آل فرعون يختم بها حججه وبراهينه!! فهي كما حكاها تعالى مع إقرارها دستور الحق، وسنة الله، وسبيل إقامة العدل، وأساس الحساب في الدار الآخرة[٥].

---

(١) انظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي (٩/ ٢٣).

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (٦/ ١٠٦٣).

(٣) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٧).

(٤) انظر: لباب التأويل، للخازن (٤/ ٧٣).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥١٠)، في ظلال القرآن (٥/ ٣٠٨١).

المطلب الثاني: هلاك فرعون وقومه ونجاة المؤمنين

على الرغم من هذه الجولة الضخمة التي أخذ الرجل المؤمن بها القلوب فقد ظل فرعون في ضلاله، مصراً على التنكر للحق، ولكنه تظاهر بأنه آخذ في التحقق من دعوى موسى، لكنه يموه ويحاور ويداور، كي لا يواجه الحق جهرة، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه، وتهدد الأساطير التي قام عليها ملكه، ويعقب السياق على هذا المكر والكيد بأنه صائر إلى الخيبة والدمار، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]**.

أولاً: المناسبة

بعد وصف فرعون بأنه متكبر جبار، أخبر الله تعالى عن عتوه وتمرده وافترائه في تكذيب موسى عليه السلام، حتى بلغ به الأمر أن أمر وزيره ببناء قصر عال منيف شاهق من الآجر، ليصعد به إلى السماء، للاطلاع على إله موسى، قاصدا بذلك التحدي والتمويه، والاستهزاء بموسى وإنكار رسالته[١].

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**صَرْحاً**: بناء ضخماً عالياً كالأبراج العالية اليوم[٢].

٢-**الْأَسْبابَ**: الطرق الموصلة إلى المطلوب، والمراد هنا: الأبواب[٣].

٣-**تَبابٍ**: خسار وهلاك[٤].

---

(١) نظم الدرر، للبقاعي (١٧/ ٦٨).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب (١٠/ ٦٤٣٢).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٦٢٣).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي

قال فرعون الملك لوزيره هامان بعد سماع دفاع الرجل المؤمن عن موسى: يا هامان، ابن لي قصرا مشيدا منيفا عاليا، لعلي أصل إلى أبواب السماء وطرقها، فإذا وصلت إليها بحثت عن إله موسى. وهو لا يريد بذلك إلا الاستهزاء منه، وإنكار رسالته. ثم أكّد ذلك بقوله: وإني لأظن موسى كاذبا في ادّعائه بأن له إلها غيري، وأنه أرسله إلينا، وقد قصد بذلك التمويه والتلبيس على قومه، من أجل إبقائهم في الكفر، واعتقادهم بأنه هو الإله، والاستخفاف بعقولهم، وإيهامهم بما يريد، وهذا تصريح من فرعون بتكذيب موسى عليه السلام في أن الله أرسله إليه(١).

وبين تعالى أن الشيطان زين لفرعون عمله السيئ، فصده عن سبيل الهدى والرشاد، وحجبه عن طريق الحق والعدل والسداد، وما كان كيده واحتياله وعمله الذي يوهم به الناس إلا في خسار وضياع مال، لذهاب نفقته سدى دون التوصل إلى شيء مما أراد، والخلاصة: أن فعل فرعون وأمثاله صنيع المكذبين الضالين، وأن عاقبة كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الهلاك والخسران، وأن تدبير فرعون الذي دبّره ليصرف الناس عن الإيمان بموسى عليه السلام مبدّد ضائع لا فائدة فيه(٢).

رابعاً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. أن غرض فرعون من هذا الكلام إيراد شبهة تشغل الناس في نفي الإله الخالق الصانع، وهذا حال الضلال في كل زمان ومكان، يشغلون الناس بالباطل عن الحق(٣).

٢. يتلخص أمر فرعون في أن الشيطان زيّن له عمله وهو الشرك والتكذيب، فصده عن سبيل الحق والرشاد، وأصبح كيده واحتياله في دمار وخسران وضلال، وكذا حال كل من أعرض عن ذكر الله، واتباع ما جاءت به الرسل(٤).

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٦)، التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ١٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٨٨)، الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٧٦).

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢/ ٣٤٩)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧/ ١٤٤).

(٤) جامع البيان، للطبري (٢١/ ٣٨٩)، لطائف الإشارات، للقشيري(٣/ ٣٠٦).

المطلب الثالث: متاع الدنيا قليل زائل، والآخرة كثير دائم

أمام مراوغة فرعون واستهتاره، ألقى الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدوية صريحة، بعد ما دعا القوم إلى اتباعه في الطريق إلى الله، وهو طريق الرشاد، وكشف لهم عن قيمة هذه الحياة الزائلة، وشوقهم إلى نعيم الحياة الباقية، وحذرهم عذاب الآخرة، وبين لهم ما في عقيدة الشرك من زيف ومن بطلان، وهذا ما بينه سبحانه وتعالى في قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٨ - ٤٠]**

أولاً: المناسبة

هذا بقية كلام مؤمن آل فرعون، فإنه أعاد عليهم النصح مرة أخرى حينما رآهم يتمادون في كفرهم وبغيهم، ونادى قومه ثلاث مرات، في المرة الأولى دعاهم في الآيات السابقة إلى قبول الدين الذي دعا إليه موسى، على سبيل الإجمال، وفي المرتين الأخريين على سبيل التفصيل(١).

ثانياً: المعاني اللغوية

١-**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**: أدلكم على طريق الصواب والسداد(٢).

٢-**مَتَاعٌ**: تمتع يسير، لسرعة زوالها، يستمتع به زمنا قليلا ثم يزول(٣).

٣-**دارُ الْقَرَارِ**: دار البقاء والدوام والخلود(٤).

٤-**بِغَيْرِ حِسابٍ**: بغير تقدير ولا تقنين ولا موازنة بالعمل، فهو رزق واسع لا حدود له(٥).

---

(١) نظم الدرر (١٧/ ٧١).

(٢) الوجيز، للواحدي (ص: ٩٤٦).

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (٤/ ٣٩).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥١٨).

(٥) الكشاف، للزمخشري (٤/ ١٦٨).

ثالثاً: البلاغة

١-**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ:** فيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي[١].

٢-**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ:** التعبير في جانب الثواب على العمل الصالح مع الإيمان بالجملة الاسمية، للدلالة على الثبوت والاستمرار، وتغليب الرحمة، وجعل العمل عمدة[٢].

رابعاً: التفسير الإجمالي

قال مؤمن آل فرعون يعظ قومه: يا قوم، اتبعوني فيما أقول لكم وأدعوكم إليه، أدلكم على طريق الرشاد والخير والسداد، وهو اتباع دين الله الذي جاء به موسى، ثم حذرهم من الافتتان بنعيم الدنيا والاغترار بزخارفها، فقال: يا قوم، ما هذه الحياة الدنيوية إلا مجرد متاع يستمتع به قليلا ثم يزول وينتهي بالموت، وإن الآخرة هي دار الاستقرار والبقاء والخلود، فهي دائمة باقية لا زوال عنها، ولا انتقال منها، والناس إما في النعيم وإما في الجحيم، ولا ثالث غيرهما، فالسعيد من سعى إلى النعيم، والشقي من سعى إلى الجحيم، لأن النعيم فيها دائم، والعذاب فيها دائم[٣].

ثم أبان تعالى طريق تقسيم العباد وكيفية المجازاة في الآخرة، مشيرا إلى أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب، فبين أن من ارتكب معصية من المعاصي، فلا يجزى في الآخرة إلا مثلها، عدلا من الله، ومن عمل العمل الصالح وهو اتباع أمر الله واجتناب نهي الله، وكان مصدقا بالله وبرسله، فهؤلاء هم لا غيرهم أهل الجنة التي يتمتعون بنعيمها ورزقها أضعافا مضاعفة، بغير تقدير ولا تساو مع العمل، فضلا من الله ونعمة ورحمة[٤].

---

(١) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٨).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي (٢٤/ ١٢٦).

(٣) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي (٨/ ٢٧٧)، مفاتيح الغيب، للرازي(٢٧/ ٥١٨).

(٤) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٢٠٧)، لطائف الإشارات، للقشيري (٣/ ٣٠٧).

خامساً: تحقيق المقاصد والأهداف

١. مؤمن آل فرعون في نصحه لقومه من أشدّ الناس إخلاصا لهم وحبّا وحرصا على إنقاذهم من ورطة الكفر، والدخول في ساحة الإيمان بالله ﷻ وحده لا شريك له[١].

٢. من أساليب الدعوة التي اتبعها مؤمن آل فرعون:

أ- أنه كرّر النّصح وأكّده، ونوّع الخطاب والترغيب والترهيب، مبتدئا بالدعوة إلى الإيمان بالله، وسلوك طريق الهدى وهو الجنة، ونادى قومه بلطف هنا للمرة الثانية[٢].

ب- أنه حذّر من الاغترار بزخارف الدنيا ولذائذها وشهواتها، وزهّدهم فيها بعد أن آثروها على الأخرى، ولا يسع العاقل البصير إلا عدم التعلق الشديد بالدنيا الفانية، وإيثار الآخرة دار الاستقرار والخلود[٣].

ت- أنه أبان لقومه كيفية المجازاة في الآخرة، فمن اقترف معصية- وأكبرها الشرك- فلا يجزى إلا مثلها من العذاب عدلا من الله، ومن عمل بما أمر الله به واجتنب ما نهى عنه، وهو مصدق بقلبه بالله وبالأنبياء، فهو من أهل الجنة، فضلا ورحمة من الله، ورزق الجنة دائم واسع لا تقدير فيه[٤].

---

(١) أنوار التنزيل، للبيضاوي (٥/ ٥٨).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧/ ٥١٨).

(٣) أيسر التفاسير، للجزائري (٤/ ٥٣٥).

(٤) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٥٦٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإني أحمد الله – عزَّوجل – الذي بنعمته تتم الصالحات، أن أعانني ووفقني ويسر لي إتمام هذا البحث، بعد دراسةٍ تحليليةٍ، تم استخلاص وبيان ما فيها من المقاصد والأهداف، واستنباط أهم الهدايات منها، ومن خلال هذه الدراسة للآيات خرجت بالنتائج والتوصيات التالية:

أولاً: النتائج:

١) إنّ الإسلام العظيم جاء لإصلاح البشرية، فكما أصلح المجتمع الجاهلي، فهو أجدر بقيادة العالم، وإصلاح وتغيير الفساد الذي اعترى الفرد والجماعة والأمة.

٢) من أهم أسباب تعنت المشركين وبقائهم على صدودهم العناد والكفر.

٣) إنّ مقاصد القرآن الكريم لا تنحصر في جانب واحد، بل تشمل جوانب متنوعة، ونواحي متعددةً، لتشمل جميع نواحي الحياة.

٤) الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٥) سعة رحمة الله تشمل جميع خلقه بما فيهم العصاة، وإن أهل العبودية لهم خصوصيةٌ عند الله بمنحهم الرحمات والكرامات.

٦) إنّ صلاح عقيدة الفرد، يترتب عليه صلاح عقيدة المجتمع، وإنّ الإيمان له أثرٌ كبيرٌ في حياة الناس، وبها يتحصلوا على سعادة الدنيا والآخرة.

٧) حاجة الأمة الإسلامية إلى فهم منهجها الرباني، وتطبيق ما فيه من المقاصد والأهداف، لإقامة شرع الله في الأرض.

٨) وجوب الاحتكام لشرع الله تبارك وتعالى، وترك اتباع الهوى.

٩) إنّ القرآن الكريم رسم معالم منهج الإسلام ببيان أهدافه ومقاصده، فحريٌ بالعلماء والدعاة والمصلحين اتباعها وتوضيحها للناس.

١٠) إقامة الحجة على الناس بإرسال الرسل، وإنّ الغاية من ذلك النجاة والرحمة للناس في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهم التوصيات:

١) أوصي الدعاة وطلاب العلم بتقوى الله وتلاوة كتاب الله وتدبر معانيه وربط ذلك كله بواقع المسلمين سعياً للمساهمة لحل مشاكلهم.

٢) أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام بعلم مقاصد وأهداف سور القرآن، فإن ذلك مما يعمق الإيمان، ويزيده مما يدركه المرء من حكم ومصالح ورغبات.

٣) إبراز المقاصد المستنبطة في بيان عظمة القرآن الكريم وإعجازه، لتكون هذه المقاصد منطلقاً في الدعوة إلى الله– عزوجل –.

الفهـــــــــــارس

وهي:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

م	الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	الآية	الصفحة
	سورة البقرة		
١	﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾	١٣٧	٣٤
٢	﴿اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٦٧
٣	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	٥١
٤	﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٩٣
٥	﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ﴾	٢١٧	٨٨
	سورة آل عمران		
٦	﴿رَبَّنا وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾	١٩٤	١٠٢
٧	﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ﴾	١٩٦	١١١
	سورة النساء		
٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾	٤٠	٩٤
٩	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾	٤٨	٦٧
١٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾	٤٨	٦٨
١١	﴿فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً﴾	٤١	٩٣
١٢	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّه يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾	١١٠	٦٧
	سورة الأنعام		
١٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾	١	١٠٢
١٤	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ﴾	١٤٨	٧٢
١٥	﴿وَكَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾خطأ! لم يتم العثور على مصدر	٨١	٣٢

	المرجع.		
١٦	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٨٨	٨٦
١٧	﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا﴾	٢٧	١٢٦
١٨	﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ﴾	٢٨	١٢٦
١٩	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ﴾	٦٠	٤٦
	سورة الأعراف		
٢٠	﴿خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.﴾	٤٨	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
٢١	﴿وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا	٤٤	١٥٤
٢٢	﴿خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.﴾	٥٠	١٥٤
	سورة التوبة		
٢٣	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ﴾	١٠٤	٦٧
	سورة هود		
٢٤	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَراكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ﴾	٥٤	٣٩
٢٥	﴿إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	١٢	٤٤
٢٦	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	١١٩	٩٨
٢٧	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	١١٩	١٠٠
٢٨	﴿يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا﴾	٣٢	١١١
	سورة الرعد		
٢٩	﴿فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسابُ﴾	٤٠	٤٤

سورة النحل			
٣٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ﴾	٩٠	٦٧
٣١	﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	١١١
٣٢	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾	٤٣	٥
٣٣	﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾	٢	١٣٥
سورة الإسراء			
٣٤	﴿إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾	٧٥	٨٧
٣٥	﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٥٢	٩٢
سورة الكهف			
٣٦	﴿مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها﴾	٤٩	٩٣
سورة الأنبياء			
٣٧	﴿لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾	١٠٣	٧٧
٣٨	﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى﴾	٢٦	٥١
٣٩	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾	١٠٥	١٠٢
٤٠	﴿وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ﴾	٤٧	٩٤
سورة الحج			
٤١	﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾	٤٤	١١٣
سورة المؤمنون			
٤٢	﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾	٩٩	٧٢
سورة الفرقان			
٤٣	﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ﴾	٦٨	٦٥

سورة الشعراء			
٤٤	﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾	٧٨	١٢٠
٤٥	﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾	١٩٣	١٣٥
سورة القصص			
٤٦	﴿قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي	٧٨	٥٩
سورة العنكبوت			
٤٧	﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	١١٢
سورة الروم			
٤٨	﴿وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها﴾	٩	١٤٣
٤٩	﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾	٢٥	٩٢
سورة لقمان			
٥٠	﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾	٢٨	١٣٥
٥١	﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ﴾	٢٤	١١١
سورة السجدة			
٥٢	﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	١٧	٥٧
٥٣	﴿وَلَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ	١٢	١٢٦
سورة سبأ			
٥٤	﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	٣٥	٥٩
سورة فاطر			
٥٥	﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾	٣٤	١٠٢
سورة يس			

٥٦	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾	٦٠	٣٤
	سورة ص		
٥٧	﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾	٥٠	١٠٠
٥٨	﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبابِ﴾	٢٩	١٩
	سورة الزمر		
٥٩	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾	٣٢	٢٨
٦٠	﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	١٥
٦١	﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ	٢٠	٣٤
٦٢	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾	٢٣	١٥
٦٣	﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	٧٥	١٦
	سورة الزخرف		
٦٤	﴿ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾	٥٨	١١١
	سورة الأحقاف		
٦٥	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾	٢٦	١٤٣
	سورة محمد		
٦٦	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	أ
	سورة ق		
٦٧	﴿وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾	٢١	٩٣
	سورة الذاريات		
٦٨	﴿كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُون﴾	٥٢	١٤٥
	سورة الطور		

٦٩	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ	٢١	١٢١
٧٠	﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾	١٣	٩٨
	سورة النجم		
٧١	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى﴾	١٩	٤٩
	سورة القمر		
٧٢	﴿وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾	٥٠	١٣٥
	سورة الرحمن		
٧٣	﴿تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾	٧٨	١١٨
	سورة الطلاق		
٧٤	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾	٢	٦٨
	سورة الملك		
٧٥	﴿كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾	٨	٢٨
	سورة الحاقة		
٧٦	﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾	١٨	١٣٥
	سورة النازعات		
٧٧	﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾	١٣	٩٢
	سورة الغاشية		
٧٨	﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢١	٤٤
	سورة البلد		
٧٩	﴿ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٧	١١٨
	سورة الشرح		

٨٠	﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾	١	٣٤

فهرس الاحاديث النبوية

م	طـــــــــــــــــرف الحـــــــــــــــــديث	المصدر	الدرجة	الصفحة
١	ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	مسند أحمد	صحيح	١٥
٢	ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره، فذلك حين يتبع بصره نفسه	صحيح مسلم		٤٦
٣	إن أعظم آية في كتاب الله	المعجم الكبير	فيه ضعف	٦٧
٤	إن الروح إذا قبض تبعه البصر	صحيح مسلم		٤٦
٥	أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم	المعجم الصغير	صحيح	٨٢
٦	أن النبي ﷺ تلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	مسند إسحاق	رجحه القرطبي	٩٤
٧	إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ	مسند أحمد	صحيح	٨٧
٨	أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا	صحيح البخاري		٦٥
٩	جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد	صحيح البخاري		٨٧
١٠	الحواميم سبع	شعب الإيمان	ضعيف	٢٤
١١	رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، " فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا	صحيح البخاري		١٥٣
١٢	فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر	صحيح البخاري		٥٦
١٣	قال المشركون للنبيﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد	سيرة ابن اسحاق		٨١
١٤	كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل	سنن الترمذي	صحيح	١٤
١٥	كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه	مسند أحمد	حسن	٨٤
١٦	مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ	صحيح مسلم		١١٧

	بِمِثْلٍ			
١٧	من أعان باطلا ليدحض به حقا، فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله	المعجم الكبير	صحيح الإسناد	١١٣
١٨	مَنْ قَرَأَ حم الْمُؤْمِنِ إِلَى إِلَيْهِ الْمَصِيرُ	سنن الترمذي	ضعيف	٢٣
١٩	هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخا لكم زلّ زلّة	حلية الأولياء	فيه انقطاع	١٠٩
٢٠	يحشر الله مع كل امرئ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورة	مسند أحمد	صحيح	٧٧
٢١	يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذّرّ في صور الرجال	مسند أحمد	حسن	٧٧
٢٢	يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه	صحيح البخاري		٨٨

فهرس الأعلام المغمورين

م	اسم العلم	الصفحة
١	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي	٧٥
٢	عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح	٧
٣	محمد بن يوسف بن علي بن حيان	٤
٤	خلف بن هشام بن ثعلب البزار المقرئ	١١٩
٥	مطرف بن عبد الله الشخير	١٢٢
٦	سعيد بن جبير الأسدي	١٢٢
٧	الكميت بن زيد بن خنس الأسدي	٢١
٨	وهب بن منبه بن كامل اليماني	١٤

فهرس المصادر والمراجع

١-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣- أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: محمد نغش الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٥-إعراب القرآن العظيم المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) حققه وعلق عليه: د. موسى على موسى مسعود (رسالة ماجستير) الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦- إعراب القرآن الكريم المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٧-إعراب القرآن المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٨- إعراب القرآن وبيانه المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

٩- الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٠- الإكليل في استنباط التنزيل المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
١١- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٢- الانتصار للقرآن المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) تحقيق: د. محمد عصام القضاة الناشر: دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٤- أهداف ومقاصد سورة التوبة "دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير من إعداد الباحث: حسن عبد الله طه الخطيب، إشراف الدكتور: عبد الكريم الدهشان.
١٥- الأهوال. المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) المحقق: مجدي فتحي السيد. دار النشر: مكتبة آل ياسر - مصر. عام النشر: ١٤١٣ هـ.
١٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٧- بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).
١٨- البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
١٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق:

أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ
٢٠- البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢١- البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٢- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
٢٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٤- بيان المعاني المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مطبعة الترقي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
٢٥- تاريخ دمشق المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٦- تأويلات أهل السنة المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٢٧- التبيان في إعراب القرآن المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: عيسى البابي

الحلبي وشركاه.
٢٨- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٢٩- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ) قدمت له وحققته: هند شلبي الناشر: الشركة التونسية للتوزيع عام النشر: ١٩٧٩ م.
٣٠- تفسير أسماء الله الحسنى المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار الثقافة العربية.
٣١- التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٣٢- تفسير الجلالين المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى.
٣٣- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.
٣٤- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
٣٥- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٣٦- تفسير القرآن المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٣٧- التفسير القرآني للقرآن المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
٣٨- تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٣٩- التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية - الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ
٤٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
٤١- التفسير الميسر المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤٢- التفسير الواضح المؤلف: الحجازي، محمد محمود الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.
٤٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
٤٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير] تاريخ النشر: طبع على عدة سنوات، أجزاء ١ - ٣: يناير ١٩٩٧.
٤٥- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٦- تفسير عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ .
٤٧- تفسير مجاهد المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٤٨- تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ .
٤٩- تفسير يحيى بن سلام المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٠- توفيق الرحمن في دروس القرآن المؤلف: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم - بريدة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٥١- التيسير في أحاديث التفسير المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٥٢- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٥٣- جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =

صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٥٥- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٥٦- الجدول في إعراب القرآن الكريم المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.
٥٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٥٨- حجة القراءات المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني.
٥٩- الحجة في القراءات السبع المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت الناشر: دار الشروق - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.
٦٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٦١- الحجة للقراء السبعة المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
٦٢- حجج القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي (المتوفى: بعد ٦٣٠هـ) المحقق: أحمد عمر المحمصاني

الأزهري الناشر: دار الرائد العربي – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٦٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٦٤- الدر المنثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت.
٦٥- دَرْجُ الدُّرر في تَفْسِيرِ الآيِ والسُّوَر المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٦٦- روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت
٦٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٦٨- زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٦٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ .
٧٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
٧١- سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)

ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

٧٢- السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٧٣- السنن الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٧٤- السير والمغازي المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ) تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٧٥- شعب الإيمان المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٧٦- صحيح السيرة النبوية المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن الطبعة: الأولى.

٧٧- صفوة التفاسير المؤلف: محمد علي الصابوني الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٧٨- ضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي.

٧٩- ضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين،

بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي.

٨٠- علم مقاصد السور، لمحمد عبد الله الربيعة، جامعة القصيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٨١- عمل اليوم والليلة المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) المحقق: د. فاروق حمادة الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.

٨٢- عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر - بيروت.

٨٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

٨٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٨٥- فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٨٦- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية المؤلف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ) الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٧- في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٨٨- القرآن ونقض مطاعن الرهبان المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي دار النشر:

دار القلم – دمشق الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
٨٩- القواعد الحسان لتفسير القرآن المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٩٠- الكتاب: التفسير الوسيط للزحيلي المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

٩١- كتاب السبعة في القراءات المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: شوقي ضيف الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .
٩٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .
٩٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
٩٤- لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٩٥- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٩٦- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٩٧- لطائف الإشارات المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

- مصر الطبعة: الثالثة.
٩٨- مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
١٠٠- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٠١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
١٠٢- مختصر تفسير ابن كثير المؤلف: محمد علي الصابوني الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.
١٠٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠٤- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد المؤلف: محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ) المحقق: محمد أمين الصناوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ.
١٠٥- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.
١٠٦- مسند إسحاق بن راهويه المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ) المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة الطبعة:

الأولى، ١٤١٢ – ١٩٩١.
١٠٧– مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٠٨– المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠٩– مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب وأقواله على أبواب العلم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: عبد المعطي قلعجي دار النشر: دار الوفاء – المنصورة الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١١٠– المصاحف المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ) المحقق: محمد بن عبده الناشر: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١١١– معالم التنزيل في تفسير القرآن المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .
١١٢– معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
١١٣– المعجم الصغير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
١١٤– المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية.
١١٥– معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر

(المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١١٦- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

١١٧- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها المؤلف: علاء الفاسي دار النشر: دار الغرب الإسلامي عام النشر: الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

١١٨- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية المؤلف: يوسف حامد العلم دار النشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٥١٤هـ ١٩٩٤م.

١١٩- مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢١- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، المؤلف: محّمد سَعيد رَمضان البوطي الناشر: موسسة الرسالة - بيروت عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

١٢٢- الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٣- الموسوعة القرآنية المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) الناشر: مؤسسة سجل العرب الطبعة: ١٤٠٥ هـ .

١٢٤- نظرية المقاصد عند الإمام محمد بن الطاهر عاشور المؤلف: إسماعيل

الحسيني دار النشر: المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م.

١٢٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٢٦- النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى: نحو ٣٦٠هـ) تحقيق: الجزء ١: علي بن غازي التويجري الجزء ٢ – ٣: إبراهيم بن منصور الجنيدل الجزء ٤: شايع بن عبده بن شايع الأسمري دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٢٧- النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

١٢٨- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٢٩- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١.	الإهداء	ب
٢.	شكر وتقدير	ت
٣.	المـقـدمــة	ث
٤.	تعريف الدراسة التحليلية والمقاصد والأهداف	١
٥.	المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية	٢
٦.	المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية	٣
٧.	المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية	٤
٨.	المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف وأهميتها	٦
٩.	المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً	٧
١٠.	المطلب الثاني: تعريف الأهداف لغة واصطلاحاً	٨
١١.	المطلب الثالث: الفرق بين المقاصد والأهداف	٩
١٢.	المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات	١٠
١٣.	المطلب الخامس: أهم المصنفات في مقاصد وأهداف السور والآيات	١١
١٤.	المبحث الثالث: تعريف عام بسورتي الزمر وغافر	١٢
١٥.	المطلب الأول: تعريف عام بسورة الزمر.	١٣
١٦.	المطلب الثاني: تعريف عام بسورة غافر	١٩
١٧.	الفصل الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات (٣٢-٥٢)	٢٦
١٨.	المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٣٢-٣٧)	٢٧
١٩.	المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمرمن الآية (٣٨-٤٥)	٣٦

٢٠.	المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية(٤٦-٥٢)	٥٣
٢١.	الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر الآيات (٥٣-٧٥)	٦٣
٢٢.	المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٥٣-٥٩)	٦٤
٢٣.	المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٠-٦٧)	٧٣
٢٤.	المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية (٦٨-٧٥)	٩٠
٢٥.	الفصل الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (١-٢٠)	١٠٤
٢٦.	المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (١-٦)	١٠٥
٢٧.	المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٧-٩)	١١٥
٢٨.	المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافرمن الآية (١٠-٢٠)	١٢٣
٢٩.	الفصل الرابع: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر الآيات (٢١-٤٠)	١٣٩
٣٠.	المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٢١-٢٧)	١٤٠
٣١.	المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة غافر من الآية (٢٨-٤٠)	١٤٩
٣٢.	الخاتمة	١٦٢
٣٣.	الفهارس	١٦٤
٣٤.	فهرس الآيات القرآنية	١٦٥
٣٥.	فهرس الأحاديث النبوية	١٧١
٣٦.	فهرس الأعلام المغمورين	١٧٣
٣٧.	فهرس المصادر والمراجع	١٧٤
٣٨.	فهرس الموضوعات	١٨٩

ملخص الرسالة بالعربية

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم لسورة الزمر من آية ٣٢-٤٠ من سورة غافر)

تناولت الباحثة فيها مقاصد وأهداف الحزب السابع والأربعين من القرآن الكريم لسورة الزمر من آية ٣٢- ٤٠ من سورة غافر، وجاء البحث في مقدمة وتمهيد و ٤ فصول، وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أهمية الدراسة، وأسباب اختيار موضوع البحث، أهداف البحث وغاياته، الدراسات السابقة، منهج الباحثة، وخطة البحث.

التمهيد: يبين الدراسة التحليلية ومتطلباتها، ومقاصد السور وأهميتها، والفرق بين المقاصد والأهداف والعلاقة بينهما وفيها تعريف بسورتي الزمر وغافر، من حيث اسم السورة، ومكان وزمان نزول السورة ومحور السورة.

الفصل الأول: اشتمل على ثلاثة مباحث تناولت مقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية ٣٢ إلى الآية ٥٢.

الفصل الثاني: اشتمل على ثلاثة مباحث تناولت مقاصد وأهداف سورة الزمر من الآية ٥٣ إلى الآية ٧٥.

الفصل الثالث: اشتمل على ثلاثة مباحث تناولت مقاصد وأهداف سورة غافر من الآية١ إلى الآية ٢٠.

الفصل الرابع: اشتمل على مبحثين تناولت مقاصد وأهداف سورة غافر من الآية ٢١ إلى الآية ٤٠.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات تالتي توصلت إليها الباحثة خلال البحث ثم ذكر مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهد ممكن.

Abstract

The analytical study of the forty seven he zebus objectives verse in surah ALZOMAR the verse 40 in surah GHAFIR from the holy QURAN .

The researcher deals with goals and objectives in verse from 32 in ALZOMAR to 40 in GHAFIR .

The reseach comes in introduction preface four mains sections and finally the end as follows .

The introduction :contain the study's necessity the subjects choice resons the research goals and objectives the previous studies the researchers method and the research plan .

The preface :contains the analytical study and its require mentis the suars goals and objectives the difference between the goals and objectives and the relation between them the definition of both surah ALZOMAR and surah GHAFIR whence their names and their fallings place and time and what they are about .

The first section :includes three studies about surah ALZOMAR goals and objectives from verse 32 to verse 52 .

The second section :includes three studies about surah ALZOMAR goals and objectives from verse 53 verse 75 .

The third section :includes three studies about surah GHAFIRS goals and objectives from verse 1 to 20 .

The fourth section :includes two studies about surah GHAFIRS goals and objectives from verse 21 to verse 40 .

The end :includes the results and the recommends that the researcher concludes depending on the research and it includes a group of indexes that facilities getting the information's in a least possible effort .